



مكتبة جامعة القاهرة

كتاب كندا من الشرق

بقيق البيض

كتاب الشباب



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

0116372



Bibliotheca Alexandrina

03



چيوكوندا من الشرو (أحب رحلاذ)

915.93

م ب ي

ع
١٢

الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية

915.93

رقم التسمية :

م ب ي

١٢

رقم التسجيل :



توفيق المشيخي



مهرجان القراءة للجميع ٩٨
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(كتاب الشباب)

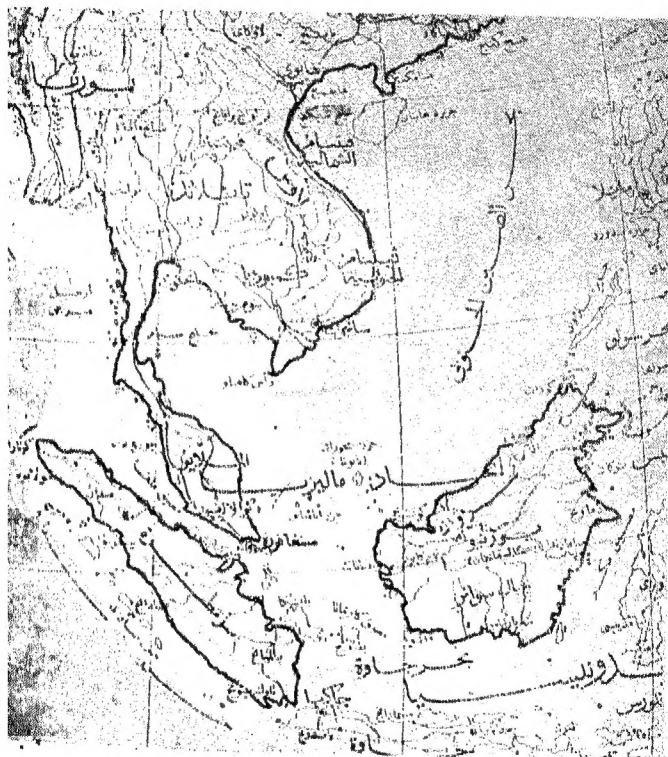
الجهات المشاركة:	جيوكوندا من الشرق
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية	(الب رحلات)
وزارة الثقافة	توفيق المبيض
وزارة الإعلام	الغلاف
وزارة التعليم	الإشراف الفني:
وزارة التنمية الريفية	للفنانون محمود الهندي
المجلس الأعلى للشباب والرياضة	المشرف العام
التنفيذ: هيئة الكتاب	د. سمير سبرجان

إهداء

الى أمى التى حررتنى من الخوف - فى زمن
الخوف - بإيمانها المطلق والفطرى بأن الأعمار بيد الله
وحده •

« توفيق المبيض »

خريطة الرحلة



تايلاند - سنغافورة - ماليزيا

الحلقة الأولى

تايلاند . . . والجيوكاندا

سفرى الى جنوب شرق آسيا ، مبتدئًا بتايلاند ، لم يكن استجابة مباشرة لبیت الشعر المشهور « سافر ففى الاسفار خمس قوائد ٠٠٠٠٠٠ » فحسب ، ولا كان نتيجة اغراء بلغ حد التحريض من قبل الأصدقاء واساطير النشرات السياحية فقط ، وإنما كان أولا واخيرا بدافع من رغبة أصيلة فى استجلاء كنه عالم جديد بالنسبة لى على الأقل .

عالم لم اره من قبل ، وأن سمعت عنه الكثير . وإذا كان من الخطأ عدم قراءة كتاب قيم اهداه اليك صديق ، فانها لخطيئة كبرى ان تحرم انفسنا من التمتع البرىء بمجالات هائلة تمتد عبر أروع كتاب وهبه الله لنا متمثلا فى هذا الكون الشاسع بصفه عامة ، وفى كوكبنا - الأرض - بصفة خاصة .

تذكرت هذا القول للشاعر كامل الشناوى حين هدرت
محركات الطائرة ذات صباح يوم من أيام شهر يوليو الحارقة
لتقلنى مع حشد من الفارين أمثالى من قبضة الصحراء
النارية - الى حين - كما تذكرت قول الكاتب الأمريكى
وندل هولمز :

« ان الانسان .. كل انسان بلا استثناء انما هو ثلاثة
اشخاص فى صورة واحدة . الانسان كما خلقه الله .
والانسان كما يراه الناس ، والانسان كما يرى هو
نفسه .. !! »

ورحت أسأل نفسى وأنا أربط حزام مقعدى فى الطائرة
مستجيبا لتعليمات السلامة .. ترى اينطبق هذا أيضا على
المدن والدول ؟ !

وهل يمكن أن يكتشف المرء - عبر التجربة والممارسة
والمعايشة - وجوها أخرى لاية مدينة أو دولة ؟

وحلقت بأحلامى وبما حصلت عليه من معلومات -
وهى قليلة - عن تايلاند . كما حلقت الطائرة المتجهة بى
اليها ، ودارت عينائى التى غسلتهما أملاح رطوبة جو
لا يرحم ، مستطلعة رفاق السفر ، والمضيفات منتظرا فى
نفس الوقت شيئا يطفئ الظما ، فوقعت على وجه رجل
غريب - كان فى الكرسى الملاصق لى تماما - قصصير

القامه • نحيل البنية • ذى وجه صينى اللامح يعيونه
المنحرفة وشعره الأسود القصير الذى اجتزه بشكل دائرى
من الصدغ الى الصدغ مرورا بمؤخرة رأسه ، تاركيا
البقية مكثفة نافرة فى قمة رأسه كعرف الديك أو الهدهد •
وكدت ابتسم لولا نظرة معاتبه لمحتها فى عينيه القلقتين حين
ضم يديه الممسكتين بنسخة انجليزية « من جريدة « الأمة »
وعدت انظر اليه فوجدته مركزا نظراته المعاتبه « القلقة »
على حذائى فقلت فى نفسى « ربما أعجبه » لكنه يادرنى ،
بعد انحناءة طفيفة ، من رأسه :

— هل السيد مسافر الى بانكوك ؟

هبت فى أعماق نفسى عاصفة من الذكريات المبررة
حول أسئلة مشابهة طالما تعرضت لها — مثل غيرى — عبر
مراكز الحدود العربية ، ولكن وجهه الطيب بدد سحب
الشك ، وافترضت حسن النية عندما أجبتة وأنا أسقط قدمى
من فوق ساقى الأخرى على سجادة الطائرة :

— هذا ان وصلنا بالسلامة •

بدا على وجهه الارتياح ، وابتسم ربما لأول مرة وقعت
فيها عيناى عليه ، وأشار الى حذائى وقال :

— لكنت تضايقنى •

— آسف • لكن المقعد ضيق والرحلة قد تطول •

مد يده بعليّة سجائرة ، وكنوع من المجاملة تناولت
واحدة وإشعلتها ، ومع الدخان المتصاعد فوق رأسينا دار
بيننا الحديث •• بعد أن تعارفنا •

قال :

— أهى المرة الأولى ؟

قلت :

— نعم

قال :

— ما الذى تعرفه عن تايلاند ؟

— قليلة معلوماتى بالطبع ، لذا أفضل أن تكون أنت
دليلى •

هز رأسه موافقا ، لكننى عدت لأقول :

— لكن بشرط ••

— ماهو ؟

— ان لاتهرب من الاجابة عن أى سؤال •

رمقنى بنظرة فاحصة ودودة ومستطلعة وقال :

— ماذا تعمل ؟

• - صبحى .

ضحك وربت على كتفى وقال :-

• - فهمت ••

• - لاتخف •• فانا فى اجازة ••

هز رأسه مرة أخرى وقال فى جدية مهيبة :-

• - ما يهمنى هو ان تعرف الحقيقة •• تأكد ان هذا امر يهمنى • توقعت ان يقدم لى عن تايلاند • بلاده • تلك الصورة التى تطفح بها النشرات السياحية ، او مجرد انطباعات مواطن من خلال رؤية خاصة به ، لكن ما رواه لى كان شيئاً مغايراً تماماً •• وغريباً • وان كان ضرورياً • غرابة نصائحه لى حين قال بعد ان اشار الى حداثى :

• - سبق وأن قلت لك انها تضايقنى وهى حقيقة ارجو ان تعيشها ، ففى تايلاند • وانصحك كصديق ، أمل ان تراعى ما يلى :

● لاتضع قدمك فى وجه تايلاندى ••

● ولا تلمس رأسه عند الحديث معه •

● واجلس اذا حدثت احدا وكان جالسا •

● واترك حذاءك خارج ابواب البيت أو المعبد •

● ولاتضع رجلا فوق رجل وانت تحدث الآخرين .

قلت مشجعا اياه على مواصلة الحديث :

— اعرف ان هناك وصايا عشر ، لكنك قدمت لى خمساً

فقط .

ابتسم وقال :

— هذا فى المسيحية . اما انا فديانتى البوذية . وهى

الديانة الرسمية لحوالى ٩٣٪ من الشعب التايلاندى .

— وماذا عن الديانات الاخرى ؟

— هناك فئات قليلة من المسلمين والمسيحيين

والبراهماتيين .

قدمت اليه لفافة تبغ تقبلها بابتسامة وانحناءة من راسه

وانا اشعلها وسألته :

— اأنت متدين ؟

— المفروض اننى بوذى . لكننى فى الحقيقة بلا دين .

ادهشنى صبراحته وجزأته . بنفس قدر دهشته عندما

رأى التقط انفاسى بعد تعرض الطائرة لمطب هوائى مفاجيء

كقوله :

— هناك ما هو اكثر . . فى جنوب شرق اسيا . .

— اكثر ؟ !



صورة رقم ١
أحد المعابد البوذية الضخمة في بانكوك

ـ نعم ٠ قد يسعدك الحظ فتشاهد التيفون ٠

ـ التيفون ؟

ـ التيفون ٠٠ نعم ، وهو اعصار مدارى ذو شحنة هائلة من الرعود والامطار ٠ هل لديكم شيئاً مشابها ؟

قلت وأنا أنظر عبر نافذة الطائرة فى قلق :

« لدينا أشياء مرهقة ، لكنها لا تخيف ٠٠ لدينا الطوز » والرطوبة وأرض على امتداد الأرجاء الأربعة بلا نبتة خضراء واحدة ٠ « ثم عدت أنظر الى ساعتى مستطلعا نهاية رحلة قالوا انها تستغرق سبع ساعات ، لحنى فابتسم وهو يمد لى يده بعلبة بييرة مثلجة قائلاً :

ـ اشرب ٠٠ فأنت ذاهب الى بلاد يطول فيها العمر اربع ساعات دون أن تحياها ٠

ـ كيف ؟

ـ أضف الى توقيتكم دائماً اربع ساعات أخرى فتحصل على توقيتنا فى بانكوك ٠٠

ـ اذن قلياليكم طويلاً ! !

نظر الى نظرة ذات معنى ، وعب من علبة البييرة جرعة كبيرة ثم مص شفتيه وقال ٠ :

ـ نعم ولا ٠

شاركته الشراب واشعلنا لفاقتى تبغ وأنا اتساءل :

— أهو لغز ؟

— ابدا ٠٠ فمن وجهة جغرافية تعتبر تايلاند منطقة مدارية استوائية يتساوى الليل فيها والنهار ٠ اما من ناحية سياسية فنحن نعيش أطول ليل سياسى مظلم فى جنوب آسيا ٠

توقفت عن الشراب ، ورحت اتابع قطعان الغيوم الهائلة والطائرة تخترق أشكالها البيضاء كثوب « بانكوك » التى تخيلتها عروسا آسيوية كم قالت النشـرات الدعائية عن لياليها الكثير ٠

لحظ صمتى فواصل حديثه :

— فيم تفكر ؟

— « فى تايلاند ٠٠ أرض الابتسامات » فجأة وعلى التو انطلقت من فيه قهقهة كفرقة خشب يتحطم ، مصحوبة بغمامة من دخان لفاقة تبغ القوى وبكلماته المتسللة من بين ثنايا القهقهة والدخان :

— ويقولون ايضا انها أرض الحرية ٠٠ فـ ٠٠ فهل ٠٠ هل تصدق ذلك ؟ !

— لم أر شيئا بعد ٠

– آه يا صديقى لو تعرف الحقيقة •

– ماذا تريد ان تقول ؟

– تايلاند ، ، يا صديقى ، أشبه بفرنسا ، نفس المساحة
تقريبا (٢٠٠ ألف ميل مربع) مع تقارب فى عدد السكان
(٤٣ مليون نسمة) • ولكن • فرنسا بلد النور ، أما
نحن • فاه • وآه •

– وتايلاند أرض الابتسامات والحرية •

نظر الى فى جد وعتاب وقال :

– أية ابتسامة تعنى وأية حرية يا صديقى !؟ لم يعد
فى تايلاند الا حرية واحدة مسموح بها رسميا •

– ماهى ؟

– انها حرية البغاء •

فرغت علبتا البيرة امامنا ، وتوهجت السجائر بأخر
أنفاسها فأشار (كاي سونج) – وهو اسم محدثى – الى
المضيفة التى حضرت مسرعة ملبئة هدير حديث لم ألقه
منه شيئا ، وان عرفت – بعد ان احضرت علبتى بيرة – ان
الحديث كان حولها • ناوانى احداها وفتح الاخرى محدثا
صوتا كالانفجار فقلت :

– لكن ما اعرفه ان نظام الحكم لديكم يشبه نظام المملكة
المتحدة وذلك منذ عام ١٩٣٢ •

نفث دخان لقاافة تبغه فى عنف وقال :

— لعلمك الخاص • ملك تايلاند بارع جدا فى عزف
الساكسفون وقيادة اليخوت • •

ثم واصل حديثه المشبع بالسخرية :

— اما مصير البلاد وقيادتها نحو غد افضل فهو امر
متروك لاصنام بوذا والولايات المتحدة الامريكية والدمى
المحلية الاقطاعية والعسكرية •

— والدستور ؟

— لحق دستور عام ١٩٦٨ بسابقه سىء الذكر ذاك
الذى صدر عام ١٩٣٢ •

— والآن •• ماذا عن الغد ايها السيامى العزيز ؟

ضحك بعد ان نظر الى ود وقال :

— معلوماتك قديمة يا صديقى ، فبلادى قد غيرت جلد
واسمها وهويتها — بفضل امريكا — منذ العام ١٩٣٩ •

— حقا ؟

— نعم ، فقد كانت « سيام » وبعد العام ١٩٣٩ صارت
« تايلاند » •

دفعتنى رغبة ملحة فى ان اعاتبه فقلت ممازحا :

– وماذا عن القبط السيامية ؟

أفرغ « لكاي سونج » آخر قطرة من بيرته فى جوفه ،
وكذلك أنا ، وتذبذبت حركة الطائرة ، فخففت الاضواء ثم
اطفئت . وتسلسل صوته وهو يعتذر عبر الظلام الواهن :

– سأروى لك كل شيء . . بعد غفوة قصيرة . .

ثم ألقى برأسه المغموم بين يديه وغطس فى مقعده
ففعلت مثله وصورة تايلاند تتزاورج فى الخيال مع لوحة
الجيوكندا خالدة الذكر عبر ابتسامة غامضة لم تفصح عن
سرهادفين الحائر ما بين الحزن والابتسامة .

واختلست نظرة الى ساعتى فادركت ان الرحلة قد
انتصفت . وحاولت ان أنام . . لكن أسئلة حيرى تضج
فى أعماقى لم تنم . وظلت متأهبة للانطلاق . . حتى هب
صديقى « كاي سونج » من رقدته أثر مطب جوى فقلت :

– حدثنى يا جارى العزيز .

فرك عينيه وقال :

– ماذا تريد ايها الصحفى اللحوح ؟

– ما العلاقة بين تايلاند والجيوكندا ؟ !

الحلقة الثانية

(مدينة صفراء بعيون زرقاء)

● كان الطائر الحديدي الذي يقلنا يخترق قلب الليل
الدامس ، مستشعرا طريقه فوق شبه القارة الهندية بما
زوده العلم من آلات غاية في الدقة . ولما لم اعد ارى شيئا
مال صديقي « كاي سوتج » برأسه نحوى وقال :

— كنت تسال عن العلاقة بين تايلاند والجيوكاندا .

قلت . وأنا استشعر برذا ليليا خفيفا :

— ظننتك قد نسيت ، أو تهربت من الاجابة .

فرك عينيه مرة أخرى ثم سعل ، وبعد أن أشعل لفافة
تبغ تصاعد دخانها في خط عمودي قال :

— لم أنس ، ولن أهرب من الاجابة . . يا صديقي
سؤالك صعب ، والاجابة تستغرق زمنا .

— لا تنس أن فرق التوقيت سيضيف الى عمري أربع ساعات دون أن أحيها ٠٠

— ها ٠٠ انت مناوئ بارع ٠٠ وهذا شيء يسرنى ٠٠
اسمع ٠٠

— هات ٠٠

— فى الحقيقة سؤالك لم يخطر لى على بال من قبل ،
لكننى سأتحاول الاجتهاد ٠

تأملته مليا وأنا اجتر واقعنا العربى وخاطبت نفسى :
« فى بلادنا قد منعوا الاجتهاد منذ زمن وحجبوا عنا انواره
٠٠٠ .ها نحن نعيش تائهين فى الظلام » ، وانتبعت على
ضيقته وهو يقول :

— لكى تدرك سر تايلاند عليك أن تعرف تركيبها
الداخلى سكانيا واقتصاديا وسياسيا ٠ عليك أن تفهم أيضا
علاقتها العضوية بجيرانها ٠٠ ثم كل هذا فى ظل بوذا —
هذا القيد الحديدى غير المنظور — والمتغيرات الدولية ٠٠
قلت بسرعة :

— مهلا ٠٠ ودعنا نناقش الامر خطوة خطوة ٠٠

قال وهو يضحك :

— افضل أن تناقش الأمور على طريقة خطوة للامام ٠
خطواتنا للخلف ٠٠

– كما تحب ٠٠ والآن حدثنى عن التركيب السكانى ٠٠
فى تايلاند ٠

صمت ثم قال :

– التايلانديون القدامى لهم جذور صينية ٠ شأنهم
فى ذلك شأن جيرانهم الكمبوديين ، الملاوسيين ، البورميين
ومعظم الفيتناميين ٠ وكانت البداية فى جنوب الصين ، ثم
ترحّلوا جنوبا تحت ضغط « قبلاى خان » ابن جنكيزخان
فى منتصف القرن الثالث عشر ٠

– وماذا بعد ٠٠ ؟

– ومن القرن الثالث عشر حتى القرن السادس عشر
بعد الميلاد كانت بلادى جزءا من الامبراطورية الخميرية
الكمبودية ٠٠

– وماذا عن علاقتكم ببورما ؟

– اوه ٠٠ نسيت أن حربا قد وقعت بيننا وبورما فى
القرن الرابع عشر ٠ مما اضطرنا الى تحريك موقع عاصمة
بلادنا الى منطقة تبعد عن بانكوك بخمسين ميلا ٠٠ شمالا ٠
لكنها وقعت مرة أخرى فى يد البورميين عام ١٧٦٧ ميلادية
ولا تزال اثارها باقية حتى الآن ٠

– أية اثار ؟

– اوه ٠٠ بالطبع اثارها المعمارية وحتى النفسية ٠٠

اهتزت الطائرة قليلا ، وبدا انها تغير اتجاهها وسط
الظلام الليلى الخالى حتى من النجوم . فنظرت بعد ياس
من رؤية أى شىء خارج سجننا الحديدى الطائر ، وعدت
الى روعة الحديث سألت « كاي سونج » :

— أما من زعيم وطنى مشهور عبر تلك الحقبة
التاريخية ؟

— بالطبع ، هناك دائما زعيم ..

أنه « شاو فياتاك سن » لقد طرد البورميين عام ١٧٨٢
ليؤسس مملكة فى بانكوك ؟

قال « كاي سونج » ذلك وانضغط فى مقعده باتجاهى
.. ولحت عبر الضوء الخافت المنبعث فى اجواء الطائرة
فتاة فارعة الطول ، شقراء الشعر ، وان كانت على ما يبدو
فى حالة سيئة .. ابتسم (كاي سونج) وأشار نحوها
خلسة وقال :

— أوروبية مخمورة ..

انتبهزت الفرصة وقلت :

— هل عرفت الاوروبيين ؟

— بكافة أشكالهم وأفعالهم ..

— منذ متى ؟

— أوه ٠ من القرن السادس عشر ٠٠ اتى أولا
البرتغاليون ، ثم تلتهم قوافل من الالمان والانجليز
والدنمركيين ٠٠ وأخيرا وليس آخرا جاء الفرنسيون ٠٠ فى
الحرب العالمية الأولى ٠

— وكانت النهاية فى « ديان بيان فو » ؟ !
— لكن ما أن رجل الفرنسيون حتى جاء أبناء العم
سام ٠

لمحت نورا خفيفا خارج نافذة الطائرة ٠٠ فقلت :
— الفجر قادم ٠٠

اخترقت عينا (كاي سونج) النافذة ثم عادت فى جولة
سريعة تراقبان الاوروبية المخمورة التى عادت تترنح عبر
مقاعد المسافرين ٠٠ وقال :

— هؤلاء الامريكيون يحاولون بمنجزاتهم الآلية
تخديرنا ، على نحو مشابه لحرب الافيون المشهورة ، لكنهم
فشلوا هذه المرة ٠٠ صحيح انهم دمروا فيتنام ، لكن فيتنام
دمرتهم أيضا ٠ لقد حولت ٦٠٠ ألف جندي امريكى الى
جيش من المدمنين على الافيون ٠

— ودمروكم اخلاقيا ٠٠

— الى حين ٠ لقد انتشر البغاء فى سايجون نعم ،
لكن لا تنس ان غانيات سايجون قد ساهمن فى تحريرها ،

كما حررتهن مدينة « هوشى منه » فيما بعد من أقدم مهنة
فى التاريخ ٠٠

برد الجو داخل الطائرة وأصبح للهواء داخلها طعم
التبغ والرحلة الشاقة (٧ ساعات) لا تريد أن تنتهى ٠ لمح
صديقى « كائى سونج » ذلك فقال مداعبا :

٠ أتمنى أن تزور هضاب تايلاند ٠٠

٠ ولماذا الهضاب بالذات دون السهل أو الجبل ؟

ابتسم ابتسامة ذات مغزى وقال :

٠ لكى تعرف معنى البرد على حقيقته ٠٠

٠ أرجوك ٠٠ فأنا مخلوق صحراوى ٠

زادت ابتسامة « كائى » وهو يقول :

٠ لاتخف ٠٠ فهناك أيضا أجمل النساء !

مضت خمس ساعات كان من الممكن أن تخنق روحى
بثقل وطأتها لولا حديث الصديق « كائى سونج » الذى لم
يكف لحظة عن الحديث وما أن انتهت المضيقة من تحريرنا
من أطباق الطعام التى وزعت علينا حتى تنفستنا الصعداء
٠٠ كما تنفس الصبح بوضوح خارج الطائر النارى الذى
يقلنا ٠٠ كما أقلت العنقاء السندباد البرى ذات يوم ٠

وانتبهت على صوت موسيقى يتسلل عبر الطائرة ٠٠ وعلى
(كاي سونج) وهو يتجاوب مع اللحن سعيدا ٠٠ قلت :

— كيف حالك الآن ؟

قال فورا :

— «سأبى دى ، كوب كون » •

لم أفقه شيئا فأبتسم شارحا :

— هذه كلمات تايلاندية تعنى ممتاز ٠٠ وشكرا لك ٠٠

— قلت :

— « كوب كن » •

ابتسم وقال :

— « ترونج بى » •

ثم أردف أمام حيرتى :

— أعنى استمر •

قلت :

— « يوت » •

اندھش فى حبور وسأل :

لا بأس ٠٠ بدأت تتعلم التايلاندية ، لكن من علمك هذه
الكلمة ؟

قلت :

— من نشرة ستياحية ٠٠ وتعنى « قف » أليس كذلك ؟

— تماما ٠٠

— اذن لنمض فى الحديث خطوة معك ٠٠ وخطوتان
نحو اقتصاديات تايلاند ٠٠ فالاقتصاد محرك التاريخ ٠

توقف عن تمايله على أنغام الموسيقى ٠ اكتست ملامحه
بجد ظاهر وقال بعفوية :

— لـ « ليوسى » ٠

ثم قال مستدركا :

— أعنى : در يسارا ٠

— ثم أردف :

— تايلاند يا صديقى آسيوية « صفراء » ٠٠ بعيون
زرقاء ٠

— ماذا تعنى ؟

— أه ، سأوضح لك ، وهذا سيقودنا الى اكتشاف سر
العلاقة بين تايلاند والجيوكاندا ٠٠ أليس هذا ماتريده ؟

— بالضبط ٠

— حسنا ٠٠ هل تدرك يا صديقى ٠٠ ؟

— ليس بعد .

— اذن سجل فى ذهنك هذه الحقائق . نحن يا صديقى
شعب من الفلاحين . لأن ٨٠٪ من شعب تايلاند عبارة
عن مزارعين ، لكن هذه النسبة العالية لاتملك كلها مجتمعة
سوى اقل من نصف الاراضى الزراعية فى تايلاند .
كلها .

— هذا رهيب . . .

تناهت كلماتى الى اسماع « كاي سونج » فصمت قليلا
كانه يجند معلوماته وينظمها ثم قال :

— ثم أن ٦٠٪ من الفلاحين قد فقدوا اراضيهم
الزراعية منذ خمسة عشر عاما .

— كما استولى الاقطاعيون . .

« ومايزالون » على ٥٠٪ من المنتجات الزراعية .

ثم قال فى غضب :

— اما العسكريون فقد استولوا على ٩٠٪ من الاراضى
الزراعية المحيطة بمدينة بنكوك . .

— وضع غريب . . مجتمع العشرة فى المائة . لكن . .

انتظر « كاي سونج » ان اقول شيئا ، لكن امام توقفى
قال :

– ولكن ماذا ؟

– قلت :

– ماتزال تايلاند – اعتمادا على حديثك – صفراء •

هز رأسه وعيناه تخترقان الطائرة الى صورة أبعد ،
بدت من خلال كلماته مريرة •• قال :

– مازلت أصر على أن تايلاند •• آسيوية صفراء ••
بعيون زرقاء •• أتدرى لماذا ؟

– لينك تخبرنى •• لادرك سر العلاقة بين الجيوكاندا
وتايلاند •

– فى بلادى، يا عزيزى، أقيم فى مقاطعة «نود بورى» ..
عام ١٩٦٩ مصنع للزيوت النباتية برأسمال تايلاندى –
صهيونى ••

– صهيونى ؟

سألت فى دهشة مفعمة بالمرارة ••

– نعم تايلاندى – صهيونى مشترك مقداره « ٦٠ مليون
بات » •

– غريب ••

– والأغرب من هذا أن عام ١٩٦٥ قد شهد انشاء أكثر
من (١٠٠) مؤسسة أمريكية احتكارية فى تايلاند ••

فهنالك الآن ٠٠ شركات والت ديزنى ، كوكا كولا ، فايرستون
تشيز ما نهاين بنك ٠٠

— هكذا ؟ ! وبصورة مباشرة ؟

قال بأسى وحدة :

— ماذا يهم ٠٠ فهناك (٥٠٠) شركة ومشروع
يابانى فى تايلاند ٠٠ الوجه يابانى ٠٠ لكن فتش ٠٠ فتش
عن العيون الزرقاء ٠٠ تجدها وراء هذا كله ٠٠

قطع مجرى الحديث المكفهر بشبح العيون الزرقاء
صوت مضيفة الطائرة وهى ترجونا ربط الأحزمة والامتناع
عن التدخين ٠٠ استعدادا للهبوط ٠٠ قمت بذلك وصديقى
« كاي سونج » يقول :

— ثم لتعلم يا صديقى أنه بالرغم من أن تايلاند تاتى
فى المرتبة الثانية فى العالم من حيث تصدير الجوت والثالثة
فى تصدير المطاط والارز والرابعة فى تصدير الذرة ٠٠ فان
لكل ١٠٢ مليون فلاح فى تايلاند مجزء طبيب واحد فقط ٠٠
فقط لعلاجهم ٠

أخذت الطائرة فى الانخفاض ، وبدأنا نعانى من ضغط
جوى أصاب أذننى بالطنين ٠٠ ورغم ذلك سمعت « كاي
سونج » يقول :

— منذ عام ١٩٥٠ وهدف أمريكا — ومايزال — تحويل
تايلاند الى قاعدة انطلاق عسكرية ضد الدول الاشتراكية

المجاورة • اضافة الى توظيف الاستثمارات الاحتكارية •
وجعل تايلاند فى النهاية مركزا « للراحة والاستجمام » !!
هزئت رأسى وأنا أعانى من صعوبة فى الاستماع ••
فأردف :

— انحازت بلادى الى أمريكا بشكل مطلق منذ توقيع
اتفاقيتى التعاون الاقتصادى والتقنى والتحالف العسكرى
عام ١٩٥٠ • وفى عام (١٩٥٤) انضمت تايلاند الى حلف
جنوب شرقى آسيا •

قلت والطنين المتزايد بتزايد ارتجاج الطائرة وارتفاع
صوت المحركات يصدعنى :

— ماذا عن القواعد الامريكية ؟

— هناك (٣٠٠) قاعدة امريكية فى بلادى •• تصور
•• اضافة الى عشرات الآلاف من الجنود الامريكيين •

— وماذا عن نضالكم •• ضد هذا كله ؟

حقوق فى برهة ثم همس فى حرقه :

— لدينا أكثر من (٥٠) حزبا ومنظمة ، لكن جيش
التحرير التايلاندى هو •• هو الأمل ••

شعرت بأن « كاي سونج » ليس مجرد فرد عادى ،
انه واع ومتحمس وينوء فكره وعمره بأعباء قضية يلتزم
بها •

وسألت نفسى « ما المصير ؟ » ثم سألته نفس السؤال
فرد فى أسى :

– التقارب الأمريكى – الصينى كان على حساب
نضالنا • لقد تحررت فيتنام وكانت لاوس وكمبوديا وبورما
على وشك الخلاص •• لكن الصراع الصينى – الفيتنامى
مضافا اليه التقارب الصينى – الأمريكى جمد كل شىء ••
ولكن •• ولكن الدنيا لم تخلق فى يوم واحد •

استمعت اليه ، ثم نظرت عبر نافذة الطائرة ، كانت
الأشجار والبيوت والشوارع ممتدة تحتنا كبساط من الأمل
الأخضر •• وجاء صوت المضيئة – أخيرا – معلنا نهاية
الرحلة •• ومهئنا بالوصول •

وقبل أن أتحرك من أسر حزام مقعد النجاة مددت يدى،
بحرارة مصافحا الرفيق « كاي سونج » وأنا همس فى
أذنه :

– تايلاند •• والجيوكاندا ابتسامتهما حزينة ••

ضم راحتيه وأحنى رأسه وهو يودعنى ، بعد أن أخذ
بطاقة منى تضم اسمى وعنوانى وقال فى ود :

– ذات يوم – وهو قريب سبتتسم الجيوكاندا ••
وتايلاند •

وعند ذلك ستتلقى منى رسالة صفراء - بلا نقطة زرقاء
واحدة ، كاشعة الشمس الذهبية .

وافترقنا ٠٠٠ « كاي سونج » الى مشواره الطويل ،
وأنا - السائح الصحراوي - الى قلب بانكوك باحثا عن
السلوى والحقيقة .

وتساءلت وأنا أمضى الى فندق « مونتين » :
- ترى هل ستسفر لى بانكوك عن وجهها الحقيقي ؟ !
وتوالى الصور ٠٠ ولكن أية صور ٠٠ نعم ٠٠ أية
صور ؟ !

الحلقة الثالثة

هذه « النيرفانا » صعبة المنال

● أين هي بانكوك ؟

كان الشوق يسألنى ..

ولكن .. بعد رحلة جوية مضنية ما أبدع أن تظا
قديماك الأرض ، وأن تنعم بحمام ساخن يغسل أرهاقك ،
ووجبة شهية تعيد حواسك المعطلة الى نشاطها المعهود ..
ولقد تم هذا كله وأكثر .. إذ تمددت كالقنديل فوق السرير
بغرفتى فى فندق « مونتين » .. ورحت فى سبات عميق ..
ولم أحلم بشيء ، فقد كان غاية ما أحلم به - وأنا فى زورق
السماء - أن أصل الى حضن الأرض سالما .. وقد سلمت

ولكن أين هي بانكوك ؟ !

نعم أين هذه المدينة - الجيوكاندا الغامضة ، وأى

أسرار ستفتتح أمام خطى الغريب القادم من الصحراء
العربية ؟

نسفنى فضولى ، فنبذنى سريرى ، وفى دقائق كنت
داخل ملابسى فى الشارع - نهر حياة أية مدينة - وهناك
تركت تيار المصادفات ، نعم المصادفات وحدها ، يتلاعب
بقارب جولة الاشواق النهمة • كما يحلولة ، عبر مساحة
زمنية ، تحدها أسوار اثنين وعشرين يوما ، وأربع
ساعات •• هى فرق التوقيت •• لم أعشها - ولكننى
اكتشفت اننى لست بقارب ، كما أن هذه المدينة لم تعد
مجرد نهر •• لأننى أدركت - بعد صدمة الدهشة الأولى
- اننى قد تحولت الى رادار « بشرى ، يعمل - بفعل طاقة
الحرمان والغربة - بكفاءة عالية •• وتحولت تايلاند ،
وخاصة عاصمتها ، الى « بانوراما » •• هذه ملامحها ••

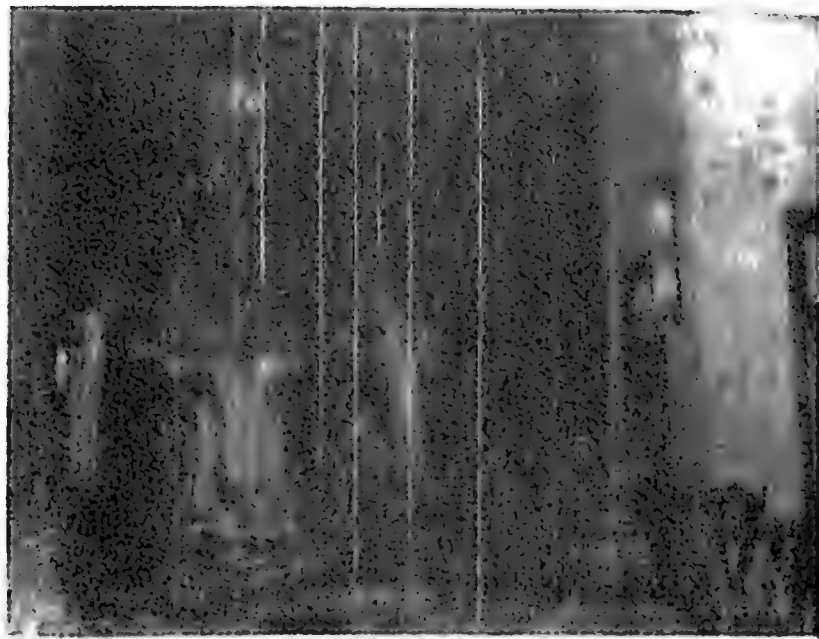


- ما هذا ؟

- انه •• بوذا ••

ووقف مذهولا ، أمواج من البشر داخل المعبد ، راکعة
أمام سبيكة من الذهب الخالص اسمها « بوذا » (١) ••
والصمت يلف المكان بغلالة من الخشوع الهائم على غمامات
من البخور وانفاس المرتلين ، ودموع تطل من العيون ••
عيون رجال ونساء وصبية وشباب •

- ما هذا ؟



صورة رقم ٢

تمثال بوذا ٠٠ من الذهب الخالص ووزنه فقط خمسة اطنان ونصف

٢٢

(م ٢ - جيوكندا من الشرق)

— انه « بوذا » ..

ولم احتمل ، لم احتمل لا الحزن المضاري ، ولا الجو
الكهنوتي الرهيب ، وتساءلت وأنا اقتلع نفسي من غمرة
المسحورين : من هو بوذا ، وما هي البوذية ؟

• وجاءني الجواب من دليل الرحلة التايلاندي

— سيدي ، ان بوذا تعنى « المستنير » أما البوذية
فانها تعتمد على التأمل ونكران الذات ، وتقول أن غاية
الانسان بفنائه •

ثم أردف :

— بمعنى أوضح البوذية مجموعة من الاراء الفلسفية
والدينية التي نشأت عن تعاليم بوذا ، وأساسها القول بأن
حياة الانسان فى الدنيا شر وألم ، وأن التخلص منها انما
يتم بالاندماج فى الوحدة الشاملة وهى « النرفانا » •
وسبيل ذلك الزهد ومحاربة الرغبات والشهوات •

— ثم ماذا ؟

سألت الدليل ، فأضاف :

— وتقول البوذية بمبدأ التناسخ ومبدأ السببية ، وهى
تنكر الروحية والبعث والحساب ! !

سمعت ذلك فشكرته وابتعدت ، غصت فى خضم وحدة
حائرة مهلكة تتردد فى جنبات هيكلها الضخم كلمة الزهد
.. الزهد .. ويجيب عليها صدى آخر : « الحياة شر وألم
.. الحياة شر وألم .. »

وتساءلت وأنا بين اللعنة والذهول ، وعينائى تفجعان
بالاسراف المهلك فى بناء المعبد - وهو واحد من آلاف -
نعم تساءلت :

أى زهد هذا يا أحبار بوذا ؟

خمسة أطنان ونصف من الذهب الخالص هى وزن
تمثال واحد فقط من تماثيل بوذا المنتشرة فى آلاف المعابد
فى تايلاند ، فهل تدركون وزن شقاء البشر هنا ياكهنسة
بوذا ؟

وانتبهت على ضحكة ماجنة فنظرت .. كان هناك فى
أرجاء المعبد وفد من السياح الاوروبيين ، وصاحبة الضحكة
الماجنة .. ذات الشورت الساخن تمضى هازة أرادفها دون
مبالاة لابلماكان، أو بمن فيه .. والتقطت لها صورة .. لكنها
لسوء الحظ وجدتها محترقة ، ولست أدري أكان السبب
حرارة الجو .. أم حرارة شىء آخر ؟ !

* * *



صورة رقم ٣

هنا .. بقعة مبهرة في البناء والزخرفة .. فالشعب مختلف من

البلد

فى ركن المعبد وقفت اتأمل الدقة المبهرة فى الزخرفة
والبناء ، أعمدة طويلة ، والسقوف طبقات فوق طبقات ،
كأنها عدد من القبعات الصينية ركبت بعضها فوق بعض ،
يعلوها نوع من القباب التى تحاكي برج « ايفل » فى الشكل
والارتفاع ..

ذهب .. ذهب .. ذهب ..

من أين كل هذا الذهب ، ومن الذى يدفع مقابلته ؟ !

من تبرعات الناس أم من سخاء الحكومة ؟

وراحت الاسئلة والاجتهادات تتصارع فى أعماقى ،

فمرجت على بائع شراب مثليج لاطفىء ظمأى ..
فتخاطفتى باعة اللوحات والفواكه والشحاذون ورضانعو
التحف الخشبية شربت .. دفعت وهربت .. ومضت
الاجتهادات تصارع الاسئلة ..

« ان الدين لم يكن فى البدء أفيونا للشعوب ، ولكن
مع الزمن تولدت طبقة من تجار الدين يهملها أن تصدا
وتتكلس أروع تعاليمه الثورية ، كما أنها تحرص على اخماد
أنوار دستور الحق والمساواة والعدل فيه ، حتى لا تفصح
هذه الانوار جهل السدنة وقذارتهم الفكرية - ان كان لديهم
فكر - ومن ثم لا يبقى من جوهر الدين الا قشور من المعابد
والطقوس .. ويتحول الأمر فى النهاية الى متاجرة صريحة
باسم الدين والديان .. »

— صورة ٠٠ صورة ٠٠

وانتبهت على ذراع تشدنى ، كانت يد كاهن حليق
الرأس أصفر الرداء ، فدارت عيناي ٠٠ واصطدمت بفتاتين
ترتديان زيا — لست أدري أن كان شعبيا أو دينيا — وعلى
رأسيهما قبعتان كالخازوق ٠٠

— صورة ٠٠ معها ٠٠ من أجل بوذا ٠٠

وحاولتا بابتسامتيهما أن تجذبانى ، لكن
كلمة « من أجل بوذا » قززتني ٠٠ و ٠٠ وهربت هذه المرة
الى الشارع .

الشمس ساطعة ٠٠ محرقة ، ولهات سيارات الشحن
والركاب يملأ الجو بطبقة لزجة من الدخان، وتصيب عرقى،
وانساب كنهر الأنمييين الهادر فى الشارع . قامات مختلفة
كالأزياء ٠٠ لكن الوجوه واحدة !! فالبشرة سمراء والعيون
منحرفة ذات لون عسلى ، والشعر أسود فاحم يحيط بوجوه
النساء الناعمة ، أما الرجال فتسريحة « الهدهد » هى
الغالبة ٠٠

العرق يزداد ، والبحث عن سيارة أجرة فى منتصف
النهار أمر مضمّن . اذن لتملأ عينيك بمناظر الناس والعمارات
٠٠ والعرق . نسبة الجمال هنا ليست مرتفعة بالمقياس العربى

أو الاوروبى • هنا جمال ذو طابع اسيوى صينى صرف
كلهن قصيرات بالنسبة للمرأة العربية ، ويملن الى السمنة
قليلا •• ولكن ليس هناك من اكتناز مثير •• اما الابتسامات
فصافية تزينها أسنان بيضاء قصيرة كحبات اللؤلؤ ،
وأحيانا تشوهها فى حالة عدم الاعتناء بها صحيا •

•• وجوه •• وجوه ••

عينائى تتابعان الاف الوجوه • وجوه النساء بلا
مساحيق •• لا احمر ولا أبيض ••

• هو الفقر أم العادات ، ؟ لست أدرى •

وربما البساطة •• فكل شىء هنا مطبوع بالبساطة ••
الا معابد بوذا •• وآه من بوذا ••

• تاكسى •

صرخت وأشرت ، فتوقف ، ركبت بلهفة فأنطلق
السائق •

• كم تريد ؟

• خمسون « بات » •

• عشرون •

• خمسة وعشرون « بات » •

• أوكى ••

مجهد أنا ، ومندبلى قد تحول من لونه الأبيض الى لون
رمادى غريق فى العرق ، لا بأس ، فبعد قليل سأستريح .
رغم الزحام سأستريح ، رغم الضجيج المفزع المنطلق من
مدخنة الهجين الصناعى - بين الموتوسيكل والسيارة -
المسمى « توك - توكز » سأستريح ..

— منذ متى أنت هنا ؟

سألنى السائق وهو يمسح عرقه النازف من كل
مسامه .

— منذ أمس فقط .

لمحت مشروع مؤامرة على محياه عبر مرآة السيارة ،
لأنه ابتسم ابتسامة ذات معنى وقال :

— هل انت وحيد ؟

قلت فى حذر :

— لماذا ؟

— انظر هنا .. لدى فتيات جميلات ! !

وابتسمت ، وأنا أتناول شريطا من الصور .

— ما رأيك ؟ هذه الليلة ؟

تجاهلت السؤال وقلت :

— كم مرتبك فى الشهر ؟

هز رأسه ، ومسح عرقه وقال :

— ٩٠٠ « بات » فقط ٠٠

— أى حوالى « ٤٥ » دولارا أمريكيا فى الشهر ٠

— نعم ٠

ووصلت الى الفندق ، نزلت ، وابتسم وأنا امنحه
« بقشيش » لابس به ٠٠

وجاءنى صوته وأنا الهث فوق سلالم الفندق :

— الليلة ٠٠ لا تنسى ٠٠

ولوحت بذراعى اليسرى ، اذ كانت اليمنى قابضة على
فيل ٠٠ فيل من الخشب اشتريته بثمانين « بات » للذكرى
٠٠ وغبت داخل المصعد ٠٠

فى المكتبات ولدى الباعة وفى الفندق رحت انقب عن
الصحف ، بحثا عن اخبار بلادى العربية ، خاصة وان
محطات الاذاعة العربية ، التى صدعت اسماعنا بحروبها
الاعلامية ، قد استنفذت قواها ، فلم تعد قسادرة على
الوصول الى جنوب شرق اسيا ٠٠ وهى نعمة على كل حال

•• ولكن ما حيلة الغريب امام تيار الحنين الجارف الى
تنسم أخبار الوطن ؟ !

ثم أن الاجازة لا تعنى أبدا اجازة من الانتماء القومى •
مهما اشتدت اغراءات النسيان أو تكاثفت سحب ذكريات
العذاب ، ولقد وضعوا الشاعر فى الجنة فصرخ : « آه
يا وطنى •• » •

هذا ما رددته الشاعر التركى الكبير ناظم حكمت ، وهو
قول يجرى متوافقا مع قول الشاعر العربى :

« بلادى وإن جارت على عزيزة ••• » •

المهم أن تايلاند تزخر باصدارات صحفية باللغة المحلية ،
وهناك صحف باللغة الانجليزية مثل :

« لوك ايست » ••

• اضافة الى صحيفة تحمل اسم « بانكوك » •

وفى كل مكتبة تطالعك اسماء الصحف التالية :

– تاوان ماى : اسبوعية •

– اتيت : نشرة اسبوعية وأخرى يومية •

– الك – سيام : نشرة اسبوعية وأخرى يومية •

– بانينثان : نشرة اسبوعية وأخرى يومية •

- ليلى ليلاس : شهرية •
- أنا جاك خون دوتج بى : اسبوعية •
- براشا تيباتى فايننسيال : اسبوعية •
- فور ميولا يان يونت بى : اسبوعية •
- بى • ام : شهرية •
- ون اقترنون : يومية •

وبالطبع ، فان قراءة هذه الصحف المكتوبة باللغة
التايلاندية - وهى مزيج من السنسكريتية ولغة أخرى -
تغدو عملية مستحيلة الا للمواطنين هنا •

وحين تصفحت الصحف طالعنى انباء فشل مؤتمر
ليدز ، وانقلاب فى موريتانيا ، وعدول الرئيس سرركيس عن
استقالته و •• و ••

وشعرت بأن « دار لقمان على حالها » ، وان الشرق
الاوسط هو الشرق الاوسط بمشاكله وصراعاته وتخبطه بين
يمين ويسار ، دون محاولة عربية جادة واحدة لتحقيق
الذات والوجود الذى يستثمر كافة الامكانات ••

هذه الانفعالات ، يومية لدى الانسان العربى الواعى
فى وطنه •• لكنها فى الغربة تغدو انفعالات فى حجم
اكتشاف المصيبة ، شأن مصيبة تايلاند فى تسرب المجلات
والافلام الخليعة الى اسواقها الخلفية •• وعالمها السفلى •

كيف ؟ ١٩

تلك مسألة تستحق التوقف عندها قليلا ، لأن القانون فى تايلاند يحرم تداول وتوزيع المواد الجنسية الخليعة ، ولكن رغم أنف هذا القبلون ، فإن هذه المواد متوفرة - خلسة - فى البارات ، والشقق الخاصة وأماكن اللهو ٠٠ وأنه لأمر عادى أن تتناقل أيدي الاصدقاء فى تايلاند نسخ المجلات العارية ٠٠ حتى تتعري من أغلفتها ،

كما أن الناشرين يقومون بإعادة طبع ما تضل اليه أيديهم من مجلات جنسية ، وفى أماكن معهودة من الاسواق وزوايا الشوارع تتم عملية البيع ، ويساهم الاجانب - هيبيون وخنافس وأوغاد - فى ارواء شهوات الاشواق المشتعلة واشباع العيون والحواس النهمة الى صور التهود والارداف والعاريات كما يقومون بتصوير حفلات جنسية مانجة انطالها عاهرات بانكوك - وما أكثرهن - وشبان منحلون سواء من الداخل أو الخارج .

نعم ، القانون يقول : لا ، لكن من يجرو على القول أنه ليس بالاستطاعة الحصول على مجلة « بلاى بوى » أو « وى » مقابل (١٠٠) بات فقط ؟ !

والأمر كله لا يعدو مجرد همسة فى أذن الشخص الصحيح فى المكان الصحيح !! وفى ثوان تتبادل الايدي المغلف والنقود ٠٠ و ٠٠ وشكرا واله ، اللقاء ٠٠



على عتبات باب الفندق وجدته متريصاً منتظراً ،
وما كادت عيناه تبصرانى حتى قفز بهمة فهد نحوى • كان
السائق الذى ألقىنى الى هنا • وتذكرت • • تذكرت عرضه
النسائى • ولكن ما يشغل بالى • • كان شيئاً آخر مختلفاً
بالمرّة عما يريده • • ركبت السيارة • • وانطلقنا • •

وحين سأل ، اشرت الى موقع ما على الخريطة
السياحية • • فhez رأسه وواصل المسير ، وابتسامة ذات
معنى تومض كإشارات المرور الحمراء فوق وجهه النحيل ،
ولكنه - والحق يقال - قادنى الى ما أردت • • وهناك
كانت الدهشة • • اذ كان « التمساح البخيل » فى انتظارى
• • ولكن ما سر بخله ؟ !

لا جواب • • وربما كانت « النرقانا » وراء هذا كله
لأنها • • صعبة المنال •

الحلقة الرابعة

((بوشاى وبوين والتماسيح))

لم تكن سيارة « شاو » مكيفة ، ولم تكن حديثة ، ورحت
أحاول معرفة طرازها وسنة صنعها دون جدوى ، ولما كانت
حديقة التماسيح التى نقصدها تبعد ٣٤ كيلو مترا عن
بانكوك فقد قررت أن أحادث « شاو » كلما سنحت الفرصة .

قلت وأنا أقدم اليه لفافة تبغ : « ما اسم سيارتك ؟ »

مسح (شاو) نهرا من العرق وأجاب بموجة من الهدير
التايلاندى لم أفقه منه شيئا ، وبين هدير المحرك وهدير
الكلمات استطعت بعد لئى أن أفهم أنها نوع من السيارات
الانجليزية القديمة التى اختفت منذ الحرب العالمية الثانية ،
وعموما فنظرة الى هيكلها تؤكد لك أن هذه السيارة يجب أن
توضع فى المتحف فوراً . ولكنها وسيلة على أية حال ، ثم
إنها بحالتها هذه تغدو شيئا « ذا قيمة » معنوية تاريخية
على الأقل . . .

وفجأة اكتشفت أن بها « راديو » فسألت (شاو) أن يتحفنا ببعض الاغاني • مد يده •• تحرك المؤشر •• وانطلقت دفعات من الصفيير والضوضاء والطنين ، ثم خمد الراديو فجأة لينطلق فجأة ، في موجة سعال صوتية ، فوضعت راحتي على أذني ولم أرفعها الا •• عندما لمحت وجه (شاو) يبتسم عبر المرأة ، ورأسه يتجاوب مع •• لحن اغنية تايلاندية •• ويبدو انها رائعة ، بدليل أنه منحني لفافة من علبته ، أخذتها شاكرا اياه باللغة الانجليزية ، ولكنني تداركت الامر - مجاملة لازيد من انسجامه مع الاغنية ، وقلت :

— « لكب كن » (شكرا) •

زادت ابتسامته اتساعا — وهي عريضة أصلا — وراح يذئن مع الاغنية ، ولكن الراديو الاثري خيب ظننا ، اذ سكت الصوت الحزين وضمحل صوت الآلات النحاسية المصاحبة له ، فسألت (شاو) عن معنى كلمات الاغنية :

جاءني صوته وهو يقود السيارة بيد ، ويحاول جاهدا أن ينطق الراديو الأبكم مرة أخرى :

الاغنية تقول :

« فتاة من بانكوك ••

كسرت قلبي ••

• لاننى احببتها كثيرا •

• وانتظرتها طويلا •

• لكنها هربت ••

• وتزوجت غيرى ••

• مكسرت قلبى •• ،

• - اغنية حزينه ••

قلت لصديقى (شاو) الذى هز رأسه مرات ثلاث ،
والسيارة الاثرية تزحف بين الاف السيارات - ومعظمها
من اليابان - محاولة الخروج بنا من غابة الاسمنت •• الى
عالم التماسيح ••



بانكوك مدينة ضخمة ، وتشبه القاهرة الى حد بعيد
فى متاجرها فى ارتفاع عماراتها ، فى نمط الحياة اليومية
فيها ، وحتى سمرة الوجوه المائلة الى الاصفرار تذكرك
بمواطنى القاهرة فى الاحياء الشعبية ومتاجرها •• لكن
الاشجار هنا اكثر واللون الاخضر يمتد اينما سرت واينما
نظرت •• لأن الامطار هنا اكثر •• اكثر •• وهى حين تنهمر -
دائما بشكل فجائى - تخال أن الشوارع ستتحوّل الى انهار ،
وأن المرون سيتعطل - كما يحدث فى بلادنا - ولكن شيئاً من
هذا لا يحدث أبداً ، لأن بانكوك مزودة بشبكة من المجارى

الهائلة ، ومن ثم لا أثر للمطر بعد انتهاء سقوطه ٠٠ وتعود السماء الى سابق عهدها مظلة زرقاء ، تتهادى في هدوء بين جنباتها أسراب من الغيوم البيضاء ٠٠ ويجمل هذا كله غابات من نخيل جوز الهند المثقلة بثمارها المستديرة الخضراء ، وهى ثمار لذينة الطعم حين تكون طازجة ٠٠ شأنها شأن فواكه غريبة هنا ما أن تجربها مرة حتى تدمنها ٠



توقفت السيارة الاثرية ، فغادرها (شاو) مبتسما ، رغم حرارة الجو وطول الرحلة ، وتوقعت حدوث مصيبة للسيارة ، ولكن (شاو) قال :

— وصلنا ٠٠

فحمدت الله ، ونزلت — وبعد أن دفعت ثمن تذكرتين دخلت أنا و (شاو) الى عالم التماسيح ٠٠



هنا عشرون ألف تمساح وأكثر ٠ يا الهى ٠٠ هل هذا حقيقى ٠٠ ؟

نعم ، هذا حقيقى ، رغم أنه مدهش وغريب ، فالحديقة قد أنشئت عام ١٩٥٠ ، لتكون حديقة ومزرعة ومتنفسا للناس وملجأ لهم من ضراوة غابة الاسنت المسماة مدينة بانكوك ٠٠

ومشيئنا ٠٠ مشينا شمالا فكان الفيل فى استقبالنا
وهو فيل صبى ، لم يبلغ سن الرشد بعد ، وان كان وزنه
يفوق وزن سبعة رجال من أشباه « قتله » ذائع الصيت .
ولانه غر ، وممدل ، فقد راح يرقص على ألحان نحاسية
هاذا رأسه الضخم ، ورافعا قدمه محييا ٠٠

« تصوروا » فتصورنا ، اركبوا « الهودج » فركبنا ،
ولكن رحمة بالفيل الصبى ، امتطينا ظهر فيل أين منه فيل
أبرهه ٠٠

وتساءلت واقدامى تلامس الارض ، من أين تسريت
كلمة « الهودج » الى تايلاند ومن الذى أوصلها ؟ !

« بسم الله الرحمن الرحيم »

آية جاءت هامسة فى مرح من خلفى فانتبهت ، ونظرت ،
كأن صبيا ذلك الذى نطلق بها وعيناه العسليتان تفيضان
برجاء أن أشتري شيئا مما تعرضه يداه ٠٠

نـ مسلم ؟

سألنى وهو يقذف بحمامة من ورق فى سماء الحديقة ،
فتطير قليلا ثم تحط على الأرض .

قلت :

— « الحمد لله رب العالمين » .

• سلمنى حمامتين من ورق وأردف فى سرور •

• « الرحمن الرحيم •• مالك يوم الدين » •

تذكرت أن عدد المسلمين فى تايلاند يشكل ٣٪ من عدد السكان •

فريت على رأس الصبى المسلم فى حنو ، ونقدته ثلاثين « بات » للحمامتين ومضيت •• الحمام فى يدى ، وهموم السلام فى عقلى وقلبى تومض لكعيون البومة التى كانت تحسبني بنظراتها من خلال القفص ، فتخطيتها وأنا أخاطب نفسى :

« لاتجزع ايتها البومة ، فالسلام والحمام فى بلادى من ورق !! » •

مازال صديقى (شاو) يمضى أمامى • قادنى الى فتاتين تلبسان زيا دينيا كذلك الذى رأيته على فتاتين فى أحد معابد « بوذا » • اقتربنا فابتسمت الفتاتان ••

• صورة •• صورة ••

« لا أحب المتاجرة ، وأكره استغلال الدين فى غير موضعه ، وما أظن بوذا يرضى بهذا » ، خاطبت نفسى وأنا أمامهما •

فقال احدى الفتاتين وهى تبتسم ابتسامة خاكرة :

— شان راك كن ٠٠

سألت (شاو) ماذا تعنى ؟

قال فى دهاء مبتسما :

— انها تقول : انا احبك ٠

ثم اردف : هذا وقت اطعام التماسيح ٠٠

قال شاو ذلك ومضى صاعدا مدارج جسر خشبى يمتد
فى اتجاهات متعددة ، لكنها كلها تمكك من رؤية مراتض
التماسيح وغرفها وبركها ٠ لأنها مكشوفة ٠٠

— ما هذا ؟

— تماسيح ٠٠

قال (شاو) فى حبور طفل صغير هزته فرحة رؤية
شئ مبهر ونظرت ٠٠ الى قطعان التماسيح التى تربى ثم
تذبح لتتحول جلودها فى النهاية الى احذية وحقائب ٠٠

نعم ، هنا مئات من التماسيح الصغيرة بين نائمة
ولاعبة ٠٠ كلها اما فى الطين او فى المياه من حولها ، تحرك
ذيولها الصغيرة فى ابتهاج بينما حراس الحديقة يمدونها
باللحم !!

وفى مكان آخر ، كان تمساح ضخم قد فتح فاه على
آخره وتجمد ٠٠ كان أشهب اللون ، ويجواره تمساح آخر
مغلق الفم تماما ٠٠ وقد راح فى سبات عميق ٠٠

— تمساح وتمساحة ٠٠

خاطبت (شاو) فابتسم وأسنانها تقرض قرصا من
البسكويت ثم قال :

— كيف عرفت ذلك ؟

— هذا واضح ، فالانثى دائما — حتى فى البشر —
مفتوحة الفم لعشقها للثرثرة ، أما الزوج فما حيلته غير
الصمت ؟

قهقهه (شاو) ونحن نمضى الى ركن آخر وقال :

— أنت تمساح يا صديقى .

فأشرت الى دموع فى عينيه لكثرة ما ضحك ، وقلت :

— من منا التمساح يا (شاو) ؟

* * *

— هذا اهم مكان فى الحديقة ٠٠ وسترى العجب ٠٠

قال (شاو) :

فقلت :

— لماذا ؟

سألت ، فجاءنى صوته لاهثا وهو يخترق صفوف المشاهدين من السياح ..

— لآنك ستشاهد مصارعة حقيقية .. بين رجل وتمساح ؟

دفعت بنفسى خلفه شاقا طريقى عبر سائحات معظمهن من أوروبا ، ومعظمهن قليلات الثياب كثيرات الجراة • وتمكنت أخيرا من احتلال موقع مناسب يطل من فوق الجسر الخشبى على ميدان المصارعة • كان على يمينى (شاو) أما ذراعى اليسرى فقد انسحقت تحت ضغط سائحة بديئة شمطاء من نيوزيلندا ، وتحملت • فالمشهد يستحق العناء !!

تماسيح .. تماسيح .. تماسيح ..

على امتداد ارجاء الحديقة الهائلة تماسيح ، وتحت مظلات لا حصر لها من أشجار جوز الهند وأشجار أخرى غريبة .. تماسيح ، وفى غرف اسمنتية وخشبية .. تماسيح .. وكلها فى خدمة السياحة .. والموضة .. عشرون ألف تماسيح .. نعم ..

ولكن فى هذا المكان الذى تعصرنى فيه « رفيعة هانم » النيوزيلندية كما يعصرنى الفضول .. الى مشاهدة

المصارعة • توجد أقوى التماسيح واضخمها • وريما
أشرسها •

ويمكان الحلبة يمتد الى مسافة عشرين مترا أو أكثر
طولا ، وإلى ستة أمتار عرضا • وفى الوسط مصطبة من
الاسمنت مرتفعة قليلا عن مجرى المياه المحيطة بها • •
وهناك كان يرقد أكثر من عشرين تمساحا من الوزن
الثقيل • •

• • ودوى المكان بالتصفيق

نيهنى (شاو) الى الرجل المصارع • ولكننى لم أكن
بحاجة الى تنبيه • فهو بشعره النافر • وجسده الضامر ،
وسنين عمره التى تجاوزت الخمسين • • يجذب انتباهك
قسرا •

حيا المصارع الكهل المشاهدين وهو واقف فوق المصطبة
المحاصرة بالتماسيح فاهتز الجسر الخشبي من كثرة
التصفيق ، كما اهتزت اضلاعى من الألم والنيوزيلندية
الضخمة تعرب عن ابتهاجها • فجالت بنفسى أمنية وأنا
انتقى أكبر التماسيح وأشرسها •

وتشد الرجل العجوز فوق المصطبة قامته ، ثم تناول
حبلا عقده على شكل أنشوطه (أو مشنقة) ثم قذف به
الى رأس تمساح اللقط الحبل بين أنيابه الحادة فورا فى

غضب ٠٠ صرخ الناس ، فشد المصارع التمساح تحدث
قدميه وتركه على الاسمنت ٠٠

تشجع العجوز ، ثم قام بحركات تشبه طقوس الصلاة
تلاها بتقبيل مجموعة من الاحجية والتعاويد معلقة فى عنقه
ثم قفز الى المياه ٠٠ بين التماسيح ٠ التقط ذيل احدها
فورا ، ثم جره رغم عناده الى جوار التمساح الآخر
الذى فتح فمه الى آخره وتحنط ٠٠

حاول جر آخر ، ولكنه رفض ٠ وعقبه انزلاق تمساح
من فوق المصطبة الى المياه ٠٠ فما كان من المصارع الى
أن ضرب بعضى غليظة ذلك التمساح العنيد على ام راسه
ضربات متلاحقة ٠٠ هرب التمساح ، فلحقه الرجل ، ومن
ذيله قذف به الى المصطبة ٠ ٠

المشهد خطير ، ولكن يبدو أن هناك اتفاقا ضمنيا -
اتفاق جنتلمان - بين المصارع وهذه التماسيح التى يزيد
طول اصغرها على اربعة أمتار ٠٠

جذب تمساحا آخر ٠٠ بعد لآى ، فاهتزت الجسور
الخشبية ، وهطلت النقود ، فضية وورقية ، ومن كل
الجنسيات ٠

ولكن التمساح الكبير الذى كان قاغرا فمه ، لم يتحرك
وظل فمه مفتوحا على اتساعه ٠٠ حتى بعد أن وضع
المصارع كل ما جمعه من نقود فى فمه - فم التمساح -

دون خوف ، وهو أمر دفعنى لأن أترقب خدعة ما من
التمساح المحنط هذا .

لكن (شاو) قال :

— انه تمساح أمين .

وفعلا كان (أمينا) ، ولم يتحول الى تمساح (بخيل
لأنه وحتى آخر المشهد ، لم يطبق فمه ، ولم يبتلع «بات»
واحدا ، ربما لأنه كان مشغولا بحسابها باطنيا .

ليعرف كم تساوى بالدولار ؟

وانفض المشهد ، لكن « رفيعة هانم » لم تتزحزح ،
ولما كانت ذراعى اليسرى قد شلت تحت ضغط وزنها
« الخفيف » فقد تمنيت أن يلتهمها تمساح . جذبت يدى
فابتسمت جارتى وقالت :

— مصارعة مدهشة .

— نعم ، ومعذبة !!

قلت هذا وأنا أدلك ذراعى ، ثم أردفت :

— من أى بلاد أنت ؟

فقلت وقدمها بإحداثها الحديدى تصهر قدمى . . . ربما
دون وعى منها . . .

— من نيوزيلندا . . . وأنت ؟

فضغطت على اطراف اصابع قدمها بحذائي متعمدا ،
كى اتحرر منها وقلت : « يهودى !! » .

صرخت وهى تدفعنى بعيدا عن قدمها ، فكدت انا
و (شاو) أن نقع من فوق الجسر الخشبي ٠٠ بين
التماسيح ، وحمدت الله على اننى تحررت ٠٠ وسلمت
منها ٠٠ ومن التماسيح ، رغم انها شتمتنى بكل اللغات
٠٠ وربما قدمت شكوى الى السفارة الاسرائيلية فى بانكوك
وباليتها فعلت ذلك .



كانت رحلة العودة اسهل ، والساعة تشير الى
الخامسة - الواحدة بتوقيت الدوحة والثانية عشرة بتوقيت
القاهرة - لأن الجو قد اضمحلت سخونته ، ومن ثم
انطلقت سيارة (شاو) بنا الى الفندق دون أن تشوبنا
بزمجرة محركها أو سخونة الرديير بها ، بل قدمت مالم
نتوقعه ، اذ سمحت للمذياع بها أن يتكلم ، وعلى موجة
من الألمان ، قلت لصديقى (شاو) :

- مامعنى رجل باللغة التايلاندية ؟

- بوشاى ٠٠

- والمرأة ؟

- بوين ٠٠

قال ذلك ، ثم عرض على مرة أخرى صور حسناواته.
وابتسامة مأكرة تصاحب كلماته :

– سابي دين بوين •

وكان يعنى : امرأة ممتازة •

قلت :

– دع عنك هذا يا (شاو) واستعد لرحلة الغد •

– الى (السوق العائم) •• ما رأيك ؟

– وماذا ساشاهد هناك ؟

فرد (شاو) فى حماس وترغيب :

– « ريا » و « برا » و « انون » •

– ماذا ؟ ••

قلت فى دهشة :

فقال : دون أن يعى اننى لم أفهم شيئا :

– وسترى « جروى » و « نوك » و « نو » •

قلت وانا أمنحه ثلاثمائة « بات » – اجرة الرحلة –
راضيا :

– أرجوك •• ان تكلمت بالتايلاندية •• فترجم
• ماتقول •

هز رأسه عدة مرات وابتسم وهو يقودنى الى الفندق
ثم قال :

— غدا ستعرف معنى لكل ما قلته لك من كلمات ..

وفى غرفتى بالفندق تذكرت ماحدث فى الحديقة ،
فهمست والنوم يصارعنى : بوشائى ، بوين (رجل وامرأة)
وتذكرت اسرتى وأولادى ، وحين تهت فى عالم الاحلام ..
قابلتهم .. ونسيت .. النيوزيلندية .. والتماسيح ، لكن
(شاو) فى الصباح .. لم ينس الموعد أبدا .

الحلقة الخامسة

ملوك .. ولصوص !

كنت فى قاعة الاستقبال بالفندق ، أنقب فى الصحيفة
عن أخبار بلادى ، حين انتصب أمامى حاجبا عنى ضوء
الشمس الجرىء ، كنظرات السائحة الأوروبية التى
مضت ترمقنى وهى تلوك اللبان ، توقفت عن القراءة ..
ونظرت .. كان « شاو » ..

— أهلا « شاو » .. تفضل ..

جلس بجوارى على المقعد الطويل المريح ، ولقصر
قامته ابتلعه المقعد ، ولكنه لم يبتلع كلامه :

— ماذا تنتظر ؟

قال « شاو » ذلك وهو يتابع السائحة الأوروبية ، ذات
« الجينز » الضيق المثير ، فوضعت الصحيفة فوق وجهه
مداعبا وقلت :

٠٠ اقرأ -

اطل براسه من فوق الصفحات ، وقال وابتسامته
العريضة الممتدة ما بين أنفيه تومض عبر وجهه الاسيوى
اللطيف :

٠ كانت هناك بالأمس .

٠ أين ؟

٠ فى الـ ٠٠

٠ أين ؟

نهض « شاو » وابتسامته ذات المعنى تشع فى وجهى
وقال :

٠ هيا ٠٠ الى (نهر الملوك) ٠٠ لتبقى (السوق
العائم) ولتعرف كل شىء ٠٠

* * *

عند اعتاب الفندق أصيبت بالدهشة ، فقد سسبقتنى
« شاو » ليفتح لى باب سيارة حمراء جديدة ، كما فتح فمه
وقال :

٠ ما رأيك ؟

٠ واين سيارتك الاثرية ؟

قهقهه « شاو » وأخبرنى بأنها تمردت عليه ، رغم انه
استحلفها باسم « بوذا » وجميع الآلهة أن تتحرك
.. فأبت ..

— وهل ستحيلها الى التقاعد ؟

— ربما .. اذا لم تقتلنى فى حادث ما .

— ارجو ذلك ..

قلت ذلك ، و « شاو » يمضى بى الى (نهر الملوك) ،
سعيدا بالسيارة الجديدة التى حصل عليها من وكالة
لتأجير السيارات .. ومع أنغام الموسيقى المنبعثة من المذياع
ومع دفقات تيار من الهواء البارد الآتى من جهاز التكييف
انتعشت معنويات « شاو » بصورة لم أعدها . اذ راح
رأسه يتمايل كرقاص الساعة يمئة ويسره ، فسألت وريبة
ما تتسلل الى قلبى :

— شاو .. هل أنت بخير ؟

التفت نحوى وابتسامته العريضة تتمدد خلف سحابة
سخان نفثها فى حبور وقال :

— كانت بالامس هناك ..

وتذكرت السائحة ذات الجينز الضيق المثير ، فقلت
والفضول يتصاعد :

— أين ؟

لنعمز « شاور » بعينه وقال :

– كانت تؤدى استعراضا جنسيا صارخا .

– هـى ؟

– وانا !

توقفت الكلمات فى حلقى ، ورحت اتساعا فى صمت
عما يدور فى هذه المدينة – الجيوكاندا ، ورحت وقد تصاعد
مد الموسيقى ارقب رأس « شاور » المتحرك كمساحة السيارة
التي بدأت تعمل يمنا ويسرة .. بعد أن هطل المطر .

.. سنغرق قبل أن نصل الى نهر الملوك ..

– لا تقلق .. فالطر كالسعادة .. لا يدوم ..

صمت . ولكننى عدت أسأل :

– لم فعلتها يا « شاور » ؟

لح خيبة أمل مريرة مرتسمة فوق محياى ، عبر مرآة
سيارته ، قدمدم وهو يعبث بياقة قميصه القديم :

– هل أنت قديس ؟

– لا .

اذن لاتعلمنى .. فأحوالى محزنة .

عدت الى كهف صمى ، ومضيت أرقب دموع المطر
المنسابة فوق زجاج السيارة ، والبيوت والبشر ، وتذكرت
- رغم أنني أرى ذلك يوميا هنا - أن نظام المرور هنا
مخالف لما عهدته فى بلادى .. فعجلة القيادة على اليمين ،
وحتى مرور السيارات يمضى فى الشارع الواحد فى
اتجاهين متضادين .. وأن رجال الدين هنا لا يعملون ،
رغم أن أفضل أرز هو دائما من نصيبهم . وأدركت تماما
القول :

« ان السياحة الحالية هى تعبير عصى عن كلمة
قديمة هى البغاء » وأن التسهيلات السياحية تعنى
التغاضى عن تجاوزات لا أخلاقية .. بهدف زيادة
الموارد .. »

- كم أعطوك ؟

- ألف « بات » .

- ولها ؟

- ألفان .. فى ليلة واحدة !

- كم يبلغ مرتب العامل هنا يا « شباو » شهريا ؟

- ١٥٠٠ « بات » .

- والمدرس ؟

• - ٩٠٠ « بات » •

• - وعامل المصنع ؟

• - ١٢٠٠ « بات » •

• - وأنت ٠٠ كسائق سيارة ؟

• - قلت لك ذلك ٠٠ هل نسيت ؟

• - كم ؟

• - ٩٠٠ « بات » فى الشهر •

• - نحن ٠٠ اذن يا (شاو) •

مددت يدى بعلبة التبغ ، فتناول احدى لفافاتها بيده
اليسرى ، التى امتدت فى نصف دائرة من أمام وجهه الى
كتفه ٠٠ وقال :

• - كب كن •

اشعلتها له ٠٠ واشعلت أخرى ٠٠ لى . كان مذاقها
مرا هذه المرة ، وأحسست بجوع يعتصرنى فقلت :

• - شاو ٠٠ خذنى الى مطعم •

هز رأسه فانتفض شعر رأسه الذى يشبه عرق
الديك ٠٠

وقال :

– ساريك ماهو افضل .

ولم تمض دقائق حتى توقف .. فنزلنا معا .



● مضى " شاو " فى خفة أمامى ، عبر الشارع الطويل ، وكانت الساعة تقارب العاشرة صباحا – الخامسة بتوقيت القاهرة – . ولم تكن الحرارة قد بدأت بعد ، وبين آلاف البشر .. من نساء ورجال وأطفال شققنا طريقنا ، لكننى كنت رغم الزحام أحاول بكل جهدى أن أرصد وأسجل واستوعب مظاهر الحياة اليومية فى شارع تايلاندى . وهى لا تختلف عن أية حياة فى أية مدينة كبيرة ، لكن المهم هنا ، هو الابتسامة الدائمة على الوجوه ، رغم العناء ، ورغم بساطة الملبس والمأكلا التى تنم عن دخل محدود ، واستيت أدري أن كانت ينابيع هذه البسمات عائدة الى جوهر الديانة البوذية ، أم أنها نوع من الانفعال المضاد ، الذى ترسخ عبر الزمن ، ليغدو فى النهاية طابع الحياة المميز ، كذلك الذى نراه فى القاهرة ، حيث تقوم النكات والضحكات بدور التفرغ العصبى لشحنات الحياة الاقتصادية والسياسية القاسية .

الشارع طويل ، والعمارات حديثة ، لكن الزمن بدأ يرسم بصماته فوقها ، ويجوارها تماما تجد خوانيت شعبية ، نبتت بشكل شيطانى على قارعة الطريق ، أو فى

ظلها ، وهى حوانيت يستطيع المواطن الفقير أن يجد فيها
ما يسد رمقة بسعر متواضع •

لحقت بصديقى « شاو » •

وسألته :

— الى أين ياشاو ؟

— اتبعنى ••

قال ذلك وراح يقفز كالكنغارو امامى ، بين عربات
ملأى بالفواكه الغريبة والمعهودة • وأخرى بالاسماك
المشوية • أو بالبط المسلووق والذي يباع هنا بأرخص
الأسعار •

شعرت بالجوع أكثر ، وبالتعب بدرجة أقل ، وكدت
أنادى « ياشاو » •• لكنه لحسن الحظ توقف امام مستودع
كبير •

وقفت بجانبه ورجت ارقب مافيه •• وتذكرت هديره
بالغة التايلاندية عن أشياء سوف يريها لى •• فقلت
وأنا أجلس فى مواجهته على مقعد فى أحد المطاعم الشعبية
التي تلاصق مستودع الفواكه :

— شاو •• مامعنى « ريا » ؟

— مركب

— وما معنى « برا » ؟

نهض شاو وأشار بأصبعه الى السمك داخل وعاء
زجاجى مربع ، موضوع فوق عربة مجاورة ، وقال :

— سمك .

وضحكت من التضاد بين كلمتى (برا) و (سمك) ،
وهو امر ادهش (شاو) فسألنى والصبية فى المطعم تقدم
لنا وجبة خفيفة مكونة من الارز ولحم البط .

— ما الذى يضحك ؟

شرحت له قدر استطاعتى ، فلما فهم غمز بعينه
والصبية تمضى ، وقال :

— ما اكثير اسماء البر هنا !!

ثم اردف :

— هل تحب السمك ؟

— انت ثعلب يا « شاو » .. ولكن ..

قطع حديثى بنهوضه فجأة . عجبت ، لكنه ، مضى
دون ان يأبه بى وفى المستودع غاب لحظة ، ثم عاد ومعه
لفافة ضخمة ، وضعها على الطاولة أمامى بجوار صحن
الارز والبط .. فتحتها فتدحرجت أنواع شتى من الفواكه

احداها حمراء اللون ، ذات أهذاب لينه وهى عموما تشبه
الفراولة .. سألت « شاو » وأنا أشير اليها .

— ما اسمها بالتايلاندية ؟

— (نو) ..

واشرت الى الموز ... فقال :

— « جروى » .

ثم العنب فقال :

— « أنون » ..

والتهم ست حبات منها دفعة واحدة ، بينما تناولت
انا احدى الثمار المسماة « نو » وما كدت اقضمها حتى
دوت ضحكات (شاو) ، فتوقفت . مد يده وتناول الثمرة
منى ، نزع اللحاء الاحمر واذا بثمره بيضاء فى الداخل ،
انتزعها باصبعه ثم قدمها لى ، تذوقتها ، فكانت حلوة
المذاق .

عدت الى مراقبة نهر الحياة اليومية ، (شاو)
مشغول بالتهام فواكهه ، وأنا بتذوق كل صنف على حدة
وعيناي لا تغفلان ..

النساء هنا يعملن ، فبائعة الفواكه امرأة ، والصبية
فى المطعم تساعد والدها العجوز وعلى امتداد الشارع
تجد من تبيعك الرطبات ، سواء كوكا كولا ، أو عصير
فواكه محلية مثلجة ، وفى المعارض والصيدليات ومحلات
الأزياء يتساوى عدد العاملات والعاملين تقريبا ٠ لكن نسبة
من تفقد سياراتها بنفسها ما زالت قليلة ٠ والمرأة ،
باختصار ، قد شقت طريقها هنا الى الحياة العملية ولكن
الثمن - فى ظل الفقر - كان فادحا ٠

اشعلت لفافة تبغ ، ودفعت ثمن وجبتى الطعام ،
وتبعت (شاو) ، لكنه لم يمض نحو السيارة ، فسأله :

— متى سنصل الى نهر الملوك ؟

توقف (شاو) وأشار بأصبعه نحو مدخل خشبي
طويل مكتظ بالبشر وقال :

— لقد وصلنا ٠٠

— وصلنا ؟ ! ٠

— نعم ٠٠ فهيا ٠٠ هيا الى (السوق العائم) ٠٠
فى نهر الملوك ٠٠٠ هذا الـ «شاو» متعدد المواهب فعلا، فهو
سائق ماهر ، وعاشق محترف - وإن كان لايعترف بالحب
الافلاطونى - كما أنه خير من يقودك ، أن استسلمت

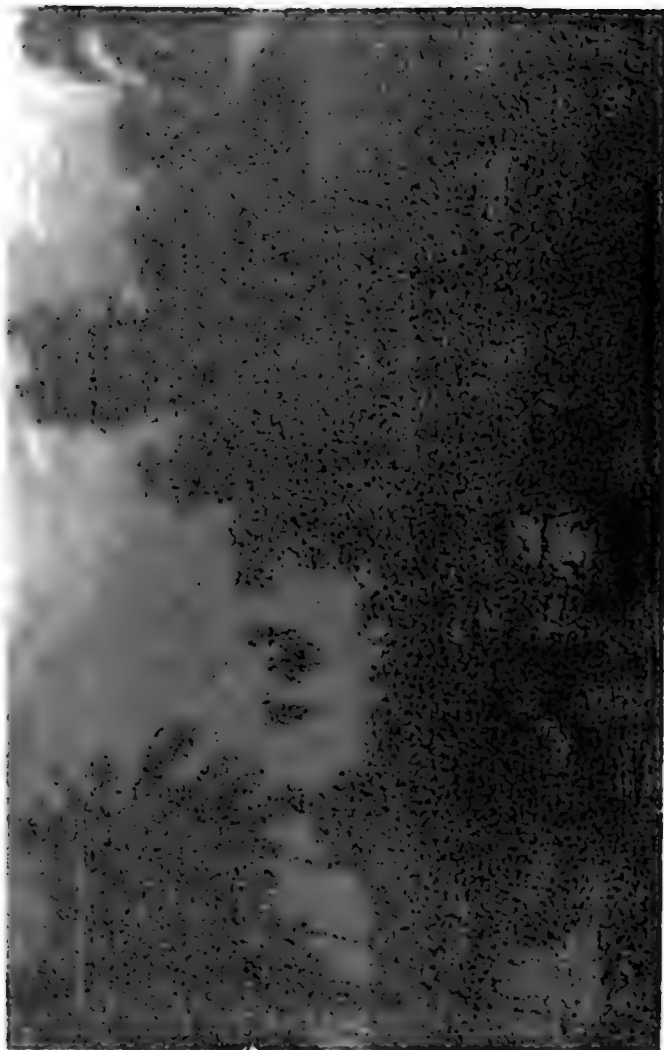
للاغراء ، الى مرابع الانس ولياليها ٠٠ فى بانكوك
ولكننى اكتشفت ، بعد أن استاجرنا قارباً للنزهة فى نهر
« شاوفايا » أو (نهر الملوك) كما تسميه النشرات
السياحية ٠٠ اكتشفت ان (شاو) رجل برمائي ٠٠
أيضاً ٠٠



من مرسى خشبى متواضع امام فندق « اورينتال
هوتيل » انطلق بى وصديقى (شاو) قارب طويل ، كأنه
جذع نخلة مجوف ، فوق صفحة مياه (نهر الملوك)
الداكنة، وقبل أن نبتعد، لمحت فى الجهة الأخرى من ضفة
النهر عدة بوارج حربية ضخمة ، سرعان ما غابت وقاربنا
الطويل كتمساح يتوارى خلف منحنى فى النهر تجلله غابة
من أشجار جوز الهند ٠



يا الهى ٠٠
أى جمال ، وأى سحر ، واية حياة !! ٠٠
وهل سيمفونية الالوان البدائية التى تتسرب الى
مسام القلب وخلايا الحس ٠٠ حقيقة أم خيال ؟
و (شاو) صديقى قطعاً ، ليكنه مجرد انسان عادى ٠٠



صورة رقم ٤
السوق العالم ٠٠ في نيز الملوك

وأنا لست بقيصر أو نيرون ، ولا حتى مجرد ملك من ملوك الطوائف •

ولكن لم هذا الاحتفال ؟ ولماذا ؟ •

النهر ، نهر الملوك ، يفتح ذراعيه معانقا قاربنا الآلى
•• ذى المظلة الخضراء ، ويرحب ببراءة طاغية بى ، أنا
الغريب القادم من اعماق الصحراء ، بملايين من الامواج
الضاحكة العابثة ، والمنطلقة بكل حرية الحياة الى جذوع
أشجار جوز الهند التى اصطفت كحرس ملكى على امتداد
الضفتين ملوحة بسيفها الأخضر النبيل ، لوجه عرف
فقط النخيل الشقى المحترق شوقا الى نقطة ماء ونسمة
هواء باردة فى الصحراء العربية •

« هل يمكن أن يتوحد الانسان ويمتزج مع الطبيعة ؟! »

خاطبت نفسى وعينائى تقبلان اسراب الطيور الملونة
المتهادية تحت مظلة الغيوم القطنية التى غدت ذهبية بفعل
الشمس ، واشواقى الى عالم أخضر تتمثل باهداف ظمئها
الطويل صمود الأكواخ الخشبية ، التى وقفت ، فى جلال ،
على ضفة النهر ، متمتعة بالشمس والحياة • بينما الاطفال
يشاركون اسمك نهر الملوك مهترجان الاضواء والظلال
والالوان • ويساهمون مع الطبيعة البكر فى استقبال
سائح يود لو تجمد به الزمان هنا •• الى الأبد •• لأن
هنا •• تعنى (فينسيا الشرق) !! •

على الضفتين ٠٠ بيوت ، بيوت ، بيوت ٠٠

والآف من البشر يحيون هنا كمخلوقات برمائية
متكاملة ٠٠

فالنهر هنا ليس مجرد خط مائى على صفحة اليايسة ،
لكنه (خط الحياة) والأمل للملايين من بورميين
وتايلانديين تعلموا كيف يتفاهمون مع الأرض الخيرة ،
بنفس مقدرتهم على التخاطب مع النهر والتجاوب مع لغته
وشروطه ٠

نهر الملوك ٠٠ هو الطريق ، لكنه طريق حى ، يموج
بالآف مؤلفة من البشر ٠٠ كلهم ينتعلون القوارب -
الأحذية - ويمسكون بالمجداف بدل العصا ، ومع دهر من
الصداقة والود مع النهر ، باتوا لا يخلون ٠٠ لأن قانون
الحياة هنا ٠٠ هو الوضوح ومن ثم فانهم فى النهر ٠٠
عراة كالحيقة ٠٠ والحيقة عارية لمن لا يعشق الزيف ٠

نهر الملوك ٠٠ هو الحى التجارى ، أو (السوق
العائم) كما يقولون ٠٠ هنا ٠٠ فالآف الزوارق الصغيرة
تنتشر هنا وهناك ، حاملة جوز الهند والارز واللحوم
والفواكه و ٠٠ البشر ٠٠ من مكان الى مكان ٠٠ وحتى

المطاعم هنا ، ما هي الا زوارق متحركة تبيع ما لذ وطاب ،
من الوجبات الشعبية المحبوبة .

نهر الملوك .. تنين مائى له مئات الانزع ..
وفى لغة المواصلات يبلغ طول هذا النهر العظيم
بقنواته ومجاريه المتعددة (٣) مليون كيلو متر ..
(آه .. أين شاو) ..

ولخته ، لدهشتى ، خلف عجلة قيادة المركب ،
مستغرقا فى ابداء مهارة جديدة .. اما قائد المركب فقد
راح يَدْخُن تبغهُ المحلى فى هدوء .

نهضت من مكانى فى مقدمة المركب ، واقتربت من
(شاو) : كان يغنى على أنغام المحرك ، ويداد على
الدقة كمن يعزف على أوتار عود ..

قلت : شاو ..

قال :

- نعم ..

- كم نبعد عن بانكوك الآن ؟

- نصف ساعة .

قال ذلك وتابع الحذاء ، فعدت الى النهر البكر
والأكواخ والبشر وخاطبت نفسى . (نحن هنا على بعد
نصف ساعة من بانكوك ، ونصف قرن عن حضارة الأسمنت
والفولاذ) .

حين ودعنا (نهر الملوك) بمرسى « اوريينتال هوتيل »
عائدين بالسيارة الى نهر الاسمنت والضجيج . سألت
(شاو) :

ـ أيهما تفضل .. السيارة أم القارب ؟ .

ـ القارب الآلى .

قال ذلك فى حماس دفعنى لأن اسأله : .

ـ لماذا ؟ ..

فاجاب فى أسنى :

ـ لأن شراء سيارة يتطلب دفع ضرائب تبلغ ١٢٠٪

من ثمنها ، أى اننى اذا اردت امتلاك سيارة ، فانه يتحتم

على ان اقدم للحكومة هدية منى سيارة بالمجان !! .

ـ شاو ..

ـ نعم ..

ـ سأقص عليك حكاية طريفة ..

— ماهى ؟

— اخفض صوت الراديو قليلا .. لو سمحت .

مد (شاو) يده فأسكت الراديو . واحصى منتبها الى
.. فقلت : « فى عاصمة دولة أوروبية ، غير مستقرة
سياسيا ، سأل أحدهم صديقا له :

— ماهو الفرق بين المايور البكىنى .. وبين حكومتنا ؟

فاجابه صديقه :

— لافرق .. فكل انسان يتساءل ما الذى يبقيه فى
مكانه والكل يرجو أن يسقط) ..

قهقه (شاو) فى حبر ، حتى دمت عيناه ، وامام
الفندق ، فى رجاء قال لى :

— ان كنت تحببى .. فاسهر معى الليلة ..

كان صادقا فى دعوته . لكن ما حيلة المرهق امام
طوفان من الاجهاد والنعاس .. ومن ثم وضعت راحتي
امام وجهى وانحنيت قائلا :

— « شاو » .. يسرنى ان اقبل دعوتك .. لكننى
مرهق الليلة ..

فاجاب على الفور :

— لا بأس .. اذن ما رايك فى السهرة غدا ، بعد
جولة فى سوق اللصوص ؟ ! ..

— اللصوص ؟ ! ..

قلت فى دهشة وجزع ، فرد (شاو) وابتهامته
العريضة فى إتساع :

— نعم .. سوق اللصوص .. لكن لا تخف .

وظلت الدهشة عالقة بوجهى ، حتى بعد أن لوح
(شاو) بذراعيه .. وغاب .

* * *

الحلقة السادسة

وداعاً .. لشعبان

حين صحت أدركت أنني لم أتم سوى ساعة واحدة ،
 فلعلت التليفونات .. ولعلت (شاو) الذى ايقظنى قسراً ،
 كنت شبه مخدر ، فما أن فتحت الباب ليدخل شاو ، حتى
 عدت الى سريري ، لكنه بهديره التايلاندى ورائحة تبغه
 الغريبة وفتحه للنافذة تاركاً ضوء الشمس ينفجر فى عيني
 .. استطاع أن ينسف نعاسي . فنهضت . نظرت فى المرآة
 فهالنى لون عيوني كأننا بلون شقائق النعمان .. وكى
 لا يظن بى (شاو) الظنون أمسكت بسماعة التليفون ولوحت
 بها فى وجه شاو وقلت :

— هذا هو السبب ..

ولم يفهم للوهلة الاولى ، حتى حين اشترت الى
 سماعة التليفون والى عيوني لم يفهم أيضاً ، فرميت
 السماعة فوق الجهاز وترنحت سائراً نحو الثلاجة . فتحت

زجاجة عصير بشكل آلى وشربتها دفعة واحدة ، واكتشفت
ان (شاو) قد شرب زجاجتين قبل أن أمد يدي له بثالثة •
ما أن تجرعا حتى سال فى خبث :
— ليلة حمراء •• اليس كذلك ؟ •

— بل سوداء يا (شاو) •

قلت ذلك وعينائى تقدحان شررا ، وهما مصوبتان نحو
التليفون الذى سرق ليلتى ، دون أن يسمح لى بكلمة واحدة
مع القاهرة • بل تركنى معلقا بحبال أمل كان يومض ثم
بنطفئ خلال كل ربع ساعة ابتداء من التاسعة مساء وحتى
الرابعة صباحا • ولكنه ورغم كل ما فعله عامل البدالة
التايلاندى مخلصا ، لم يحقق لى الاتصال المنشود مع
أسرتى وأولادى •

شرحت ذلك للصديق « شاو » وأنا اغسل وجهى
وارتدى ملابسى ، ففاجأنى بنصيحة غريبة حين قال :

— عندما تغضب عليك أن تعد من واحد الى عشرة
فتهدأ فورا •

فقلت واعاصير غيظ تزمرج فى أعماقى :

— يا (شاو) نحن فى بلادنا نعانى كل مرارة الدنيا ،
انا نتمزق •• ويبدو اننا سنموت ونحن نعد ونوعد •
— لم يا صديقى ؟ •

– لأن نصف عقلنا العربى يعيش فى القرون الوسطى
أما النصف الآخر فما زال يبحث عن درب يقوده الى القرن
العشرين .

– اذن عد من واحد الى عشرة ، وهى باللغة
التايلاندية كما يلى :

نن = واحد

سون = اثنان

تام = ثلاثة

سى = اربعة

ها = خمسة

هوك = ستة

تيت = سبعة

بات = ثمانية

كاو = تسعة

سب = عشرة .

قال ذلك وضحك ، ولما كان شر البلية ما يضحك فقد
ضحكت أنا الآخر حتى كدت أبكى . ثم قلت :

— لا فائدة ٠٠ يا (شاو) ، فالتحايل والصبر هو مقتل
العالم الثالث ٠٠ بينما المطلوب هو النفس والتدمير ٠٠

— لا تضع فى عقلك قذالة ٠

— التخلف هو القنبلة يا ٠٠ (شاو) ٠

— اوه ٠٠ لقد تخلفنا عن موعدنا ٠٠ وسوق اللصوص
فى الانتظار ٠٠ فهيا ٠

ومضيت مع « شاو » الى السوق ٠٠ واحزان اربعين
عاما مرت على سرقة وطنى ، تصرخ تحت سقف جمجمتى
هاتفه ، بما قاله بريخت ذات مرة :

« أى زمن هذا ؟ !! »

الحديث عن الاشجار يوشك أن يكون جريمة

لأنه يعنى الصمت على جرائم اشد هولا ٠٠ «

الساعة الآن الثامنة صباحا — الثالثة بتوقيت القاهرة
— فى بانكوك ٠ وهذا يعنى أن دورة جديدة من الحياة
اليومية قد بدأت ٠٠ عبر عملية انتقال جماعية تشمل
الملايين ، انتقال من السرير الى ترس الآلة ، ومحراث
الأرض ، وأصبع الطباشير ، وثمار الاشجار ، وصيد البر ،
والبحر ، ضمن قانون الأخذ والعطاء ٠

ولمحت على الرصيف بجوار فندق (شيراتون) امرأة
بائسة مع طفلين ٠٠ هما فى الحقيقة مجرد هيكلين
عظميين ضالا طريقهما الى القبر ، فتوقفا هنا لممارسة
التسول ٠ ومر شاب أوروبى مهلهل الثياب ، كث اللحية ،
غزير الشعر ، فطاردها ، لكنه دفعهما بعيدا ومضى ٠٠

لمح (شاو) ذلك والسيارة تزحف محاولة التقدم
خطوة واحدة ، وسط الشارع الذى زرع بالسيارات
فقال :

— لدينا مليون عامل ٠٠ دون فرصة عمل واحدة ٠
— بل لديكم مليون فرصة للكسب ٠
قلت ذلك وضحكت ، فسألنى (شاو) فى دهشة
ولهفة :

— مليون فرصة ؟ كيف ؟ ٠
— نعم ، فلقد زار تايلاند فى العام الماضى مليون
سائح وفهم (شاو) ما اعنى فقال هازئا :
— مليون سائح ، نعم ، ولكن ما اكثر من ينافس
منهم المنحرفات والمتسولين هنا منا ٠٠ فى المهنة ٠
— ولكن ٠٠

وددت أن اكمل حديثى ، لكن (شاو) بادرنى وهو
يرى نظرة عتاب ترتسم على وجهى ، بقوله :

- ولكنك لست منهم على أية حال .

- عليك اللعنة .

- أوكى .

قالها (شاو) ضاحكا وزاد من سرعة السيارة .

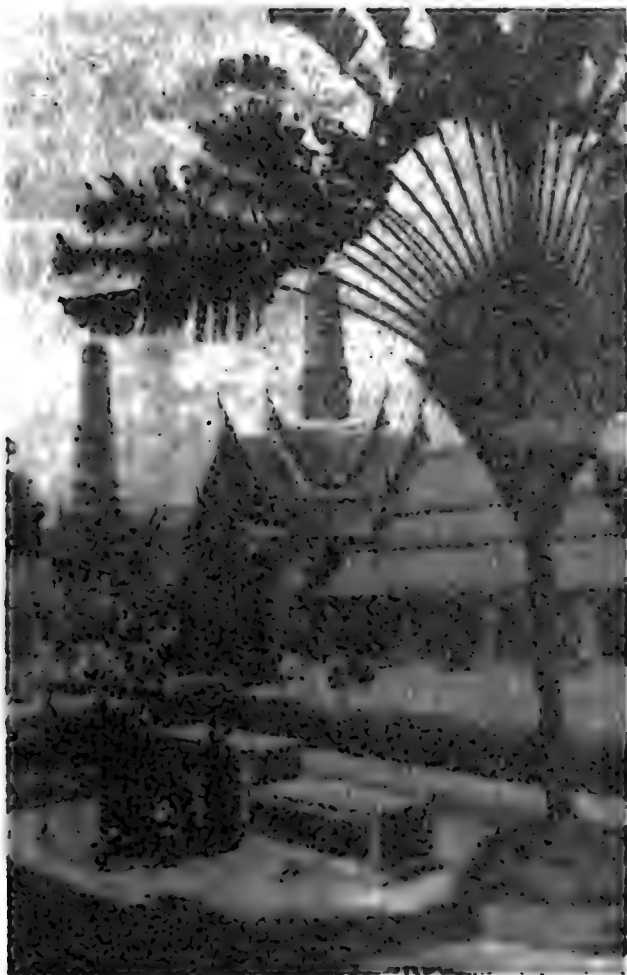
غريب هذا الحى ذو المتاجر والمصانع البسيطة والمطاعم الشعبية . فالباعة المتجولون ، والأصوات الرائدة ، وزمجرة عربات النقل ذات الثلاث عجلات ، وانتششار النسوة العاملات - بين بائعة خضار ، أو سمك ، أو ملابس قديمة - بشكل مكثف . يذكرك هذا كله بأسواق القاهرة الشعبية . وإن اختلفت سمات البشر وملابسهم ولغتهم وديانتهم .

فهنا وعلى الصفيين عبر هذا الحى الشعبى . تجد النجارين والحدادين وعمال الورش ، والميكانيكيين ، وباعة الاثاث ، وعلى بعد سوق الصياغة حيث الذهب بالاطنان ، معلقا فى واجهة المحلات ، وداخل أماكن العرض بصورة لا مثيل لها . الا هنا . فى تايلاند .

- من أين يأتى كل هذا الذهب « يا شاو » ؟

- من المهريين يا صديقى !!

- انن فهو مغشوش .



صورة رقم ٥
ومر من هنا ٠٠ مليون سالج

— لا ٠٠ ومعظمه ذهب ٢٤ قيراط ! ٠

— اهذا هو سوق اللصوص ؟ ٠

— لا ، وخاصة صفارهم ! ٠

قال « شاو » ذلك واطلق لبوق سيارته العنان ، كى يشق الطريق ، وبعد برهة التفت نحوى فجأة وهدر صوته :

— قبل سوق اللصوص ، سنزور حديقة الافاعى ! ٠

بعد ان تسلل شاو عبر شوارع فرعية ، انطلق باقصى سرعة ممكنة ، متخطيا الشاحنات وراكبى الدراجات ، فقلت :

— يا «شاو» ٠٠ سر ببطء لكى نصل بسرعة ٠٠

— لا تخف ٠

ومضى كسائق جهنمى ينهب الأرض ، وسط عاصفة من الالحان التايلاندية ، التى كانت تنطلق من المذياع ، وشعرت بأننا مقدمون على كارثة ٠ لكنها احسن الحظ لم تتحقق ، رغم اقترابنا من حدودها المدمرة ، حين حشرت (شاو) الأرض بسيارته قرب حديقة الثعابين . ليتفادى طالبة من طالبات المدارس المجاورة ٠ ظهرت فجأة ، واختفت وسط الجموع ، فجأة كما ظهرت ، تاركة قلبى ينبق كطبول أفريقية مدوية ٠

- كدت تقتلها وتقتلنا ٠٠
- (شاو) ٠٠ لايموت ! ٠
- هل شربت شيئاً غير العصير ؟ ٠
- شاي وبيرة ، وثلاث سجائر مشحوة بالماريجوانا !!
- الله اكبر ٠
- ماذا تعنى ؟ ٠
- قال « شاو » وهو يمضى بى متجها الى قلب حديقة
الاقاعى ٠٠ تاركا السيارة تلتقط انفاسها فى هدوء ٠
- اعنى اننى لم اتهيأ لكتابة وصيتى هذا العام على
الاقل ، ضحك (شاو) ٠٠ وحاولت ان اقلده ٠٠ لكن
الضحكة تجمدت امام منظر الثعابين ٠



بين الاشجار تتوزع الاقفاص الزجاجية ٠ ويتحلق
السياح حولها والدهشة ممتزجة باطيايف خوف فوق
الوجوه ٠ وتومض أضواء آلات التصوير ، مسجلة مناظر
الثعابين الضخمة ، النائمة بتكورات ٠٠ فهمنا من حارس
الحديقة ٠٠ انها كانت منذ دقائق فئراننا وضفادع ٠٠ بينما
راحت « الكوبرا » تحديق فى وجوهنا فى كبرياء شرير ، هو
الموت بعينه ، فيما لو استطاعت الوصول اليها ٠

ودق (شاو) قفص ثعبان اشهب . أطول من قامتى ،
وأثقل من وزن (شاو) ، وأكثر مسالة ووداعة من حارسة
المزرعة ومساعدتها ، اللذين فتحا القفص وأخرجوا الثعبان
المروع منها .

– هل تتصور معه ؟

سألتنى الحارسة العجوز وآلة تصوير فوري بين
يديها .

– أنا ؟ !

– نعم ، والصورة يستين « بات » !

واقترب الحارسان المساعدان وبين يديهما الثعبان .
فتراجعت وأنا أحاول إخفاء خوفى .

– لا تخف .

قال « شاو » وقالت الحارسة العجوز وأعقب ذلك قيام
المساعدين بغته بوضع الثعبان اللعين حول عنقى ، و . . .
وكاد يا أقدار أن يغمى على .

ولكن عيون السياح وخاصة النساء ، وامسك
الحارسين بالثعبان ، وابتسامة (شاو) التى تكاد ان
تتحول الى ضحكة مدوية . . . و . . . والرجولة العربية . .
و . . . وادعاء الشجاعة . . . كل ذلك . . . جعل منى أنا
الغلبان العربى . . . « بطلا من اسمنت لا يهتز ولا يلين –



صورة رقم ٦
في حديقة الثعابين .. لاتخف !!

بفعل الرعب - والتفت الحية الرقطاء حول عنقى ، وبما
أن المقادير تجعل من العى خطيبا ، فلم لا أكون أنا -
والأعمار بيد الله - بطلا ٠٠ حتى ولو غدوت جثة ! ٠

وومضت أشعة آلة التصوير فى يد العجوز ، كما
طارت روحى شعاعا ٠٠ ولم تتردد الا بعد أن أنزاحت عن
كاهلى اللعنة ، وسط تصفيق الحاضرين الذين كان من
الممكن - لولا أن الله سلم - أن يتحولوا الى معزين بوفاة
الفقيد - أنا - الذى رمته المقادير ٠٠ و (شاو) ٠٠ فى
هذه الورطة ٠

ولكن أين شاو ؟

وجاء ٠٠ فاطلقت عليه سيلا من الشتائم (باللغة
العربية طبعاً) رغم أنه جاء حاملا ٠٠ أربع ثمار من
ثمرات جوز الهند الطازجة ، كدت من روعى أقذفها بكل
ما أملك من غيظ باتجاه رأسه ، لكن خجلنى منعنى من ذلك ٠

- والآن !؟

قلت ، وأنا أكاد أعدو نحو السيارة ٠

- الى سوق الصوص ٠

جاءنى صوته الساكن وهو يلحق بى ليفتح باب
السيارة ٠

فى الطريق الى سوق اللصوص سألتنى (شاو) :

— هل خفت من الثعابين ؟

— عليك اللعنة •

ضحك (شاو) ومد يده بعلبة سجائره نحوى •

— تفضل •

— لا •• فأنا لست فى غنى عن رأسى •

— صدقنى •• انها سليمة •• وأقسم على ذلك باسم

بوذا وتايلاند •

— وماذا يعنى لك بوذا او تايلاند ؟

— اوه يا صديقى •• يقال هنا :

« لا تايلاند بدون بوذا »

« ولا تايلاند بدون الملك » •

فابتسمت ، ومددت يدى •• وحين أشعل لى (شاو)

سيجارتى قلت له :

— مالا يقدر عليه الشيطان •• يقدر عليه (شاو) •

فلوح بعود الكبريت المشتعل أمام عينيه عدة مرات

ثم اطفاه واوقف السيارة !!

— لم توقفت ؟

— لقد وصلنا ..

* * *

« ليس كل ما يلمع ذهباً » .

هذا ماكنت أردده بينى وبين نفسى وأنا اخترق الحشد
البشرى القادم من كل انحاء بانكوك .. فى سسوق
للصوص .. وعينائى تحتويان هذا العالم الغريب المسمى
حاليا فى المنشرات السياحية سوق الأحد » .

بشر .. بشر .. بشر

شيوخ وشباب ، طلاب وطالبات وصبية ونساء ،
وأطفال ، وجوه صفراء وبيضاء وسمراء .. وزنوج ايضا ،
وملايين من الاشياء بين سيوف وخناجر ولوحات فنية
رخيصة ، وقبعات من القش ، وملابس قديمة وحديثة .

وفى اقسام محدده تجد القداحات ، والمناديل وأوراق
اللعب جنباً الى جنب مع الصور العارية والكتب والدفوف
والطبول !!

ومع لعب الاطفال والاحذية تجد الاساور والعقود
ومصنوعات نحاسية كالسلاسل والخواتم . كما تجد
ادوات النجارة والحدادة .



صورة رقم ٧

يقال هنا : لاتايلاند بدون بوذا ..

(م ٧ - جيوكندا من الشرق)

ورغم أن سوق اللصوص (سوق الأحد الآن) اسم على غير مسمى ، فإن (شاو) قد حذرني مرارا من اللصوص ، لكنني لم اكترث ، لسبب بسيط ، وهو أنني منذ أن قررت زيارة هذا السوق ، قد قمت بتجريد جيوبى من كل شيء يمكن أن يطلق عليه اسم نقد أو نقود ، ولم احتفظ الا بستين « بات » - ٣ دولار - فقط لاغير . وقد استولت عليها الحارسة العجوز فى حديقة الثعابين نظير التقاط صورة لى مع ثعبانها الرهيب !!

* * *

• سوق الأحد (١٠)

نبض بشري ، وصوت حياة ، ورائحة فولكلور وطنى صميم • وصورة لاتمحي من ذاكرة أو خيال ، ونمط نشاط انسانى يبعث الدفء فى اوصال حياة تردد فى جنباتها روح الشعب • البساطة • الالفه ، لهذا فان المكان هنا لا يتعامل مع ساكنى القصر بل مع ابن الكوخ الهارب من « بوتيكات » العصر •

واه من الفقر ••

* * *

• سوق الأحد

فى بانكوك •• نبض وشوق وذكريات • وتحت ضغط
هذا الاحساس وتجاوبا مع عالم ذى نكهة خاصة كتب
(Khanet) (١) فى صحيفة «ناشيونال ريفيو» ببانكوك
الصادرة فى ١٦ يوليو ١٩٧٨ مايلى :

« وداعا سوق الأحد » •

رغم اننى سأظل أفتقدك ، وأفتقد نبضك واتقادك
الحزين المتوهج بفعل التواصل بين بشر من مختلف مشارب
الحياة •

وسأفتقد الأكلين فيك ، من وزير وعامل ، حيث الكل
متجاور فوق مقاعدك الخشبية العتيقة •

وداعا سوق الأحد •

لأننى سأفتقد حوانيتك حيث كنت ابتاع القمصان
وأدوات النجارة والبنطلونات بأسعار معقولة • ولأننى
سأحرم من روايتك والعايك السحرية وأحاسيسنا الحبيبة
فيك ، والتي كان يغذيها المنشدون بأصواتهم ذات النبرات
المتحمسة العالية •

وداعا سوق الأحد •• حياة ونضالا ومذاقا ونكهة
تايلاندية فريدة (١١) وداعا •• بلا غضب، أو دموع، فلا عزاء

(١) صحفى من تايلاند

حيال حزنك أو الآم قلبك الذى يموت الآن ، كما تموت
شجرة عتيقة معمرة .

وداعا .. وسأنتذكرك .. ولا شيء آخر .. ،

سوق الأحد ..

يضج الآن بالحياة رغم أن الساعة قد قاربت على
الخامسة مساءً .. يبدو أن السبب هو أن يومى السبت
والأحد هما يوما عطلة رسمية . ومن ثم فإنها فرصة
متاحة لكل انسان سواء كان يهفو الى اشباع نهم الى
أريج حياة قديمة ، أو يهدف الى شراء ما يلزمه بأسعار
معقولة .. أو يود زيارة السوق لمجرد المعرفة والمتعة
(كحالى أنا) . نعم فرصة متاحة للحصول على ماتريد ..

وعند بائع كتب توقفت .. بحثت عن كتب باللغة
الانجليزية وسط تلال منها باللغة التايلاندية .. ولحسن
الحظ ، وجدت نسخة من رواية (الاعماق) التى عرفت
طريقها الى الشاشة الفضية ، لتتحول الى فيلم رائع ، أما
(شاو) فقد راح يقلب صفحات مجلة جنسية مليئة بالصور
العازية .

تركته مشغولا بما وجد وشغلت بحديث مع الشاب
التايلاندى .

قلت :

- ما رأيك فى هذه الرواية ؟
- رائعة •
- هل قراتها ؟
- نعم •
- مامستوى تعليمك ؟
- انا طالب فى الجامعة ••
- رائع ، كم جامعة فى تايلاند ؟
- تسع جامعات ، اضافة الى (٣١) كلية تدرب على •
- انتهى (شاو) من تقليب المجلة ، فنقدت إلبائع المثقف
- ثمن الرواية ، ومضيت •

* * *

- اه لو ان معى نقودا اكثر ••
- قال (شاو) وهو يبتلع السوق بعينيه اللتين زاد اتساعهما رغم انهما ضيقتان أصلا •
- يا (شاو) •• اليك هذه النصيحة •

• هات -

- « الدنيا يا (شاو) مملوءة بما يكفى حاجتنا ،
لا بما يكفى جشعنا » •

- هه ••

- ماذا تعنى ؟

- النملة افضل واعظ لا ينطق بأية كلمات :

- (شاو) •• اسمع •• ان قائل نصيحتى لم يكن
نملة •• بل كان رجلا عظيما •

- ومن هو ؟

- انه المهاتما غاندى •• هل سمعت عنه ؟

- سمعت عنه قليلا اما عن أصحاب الملايين فقد
سمعت أكثر •

امام الفندق ، حين خمد محرك السيارة ، ترجل
(شاو) ، وفتح لى الباب ، فأعطيته ثلاثمائة وخمسين
« بات » فابتسمت أسارير وجهه وقال :

- لن تتهرب الليلة من السهر معى لقد وعدتني ••
ليس كذلك ؟ تذكرت تفاصيل الاستعراض الجنسى التى
رواها لى (شاو) ، والتى كان هو بطلها مع الفتاة

الأوروبية الخليفة ، فشعرت بخجل لا حد له ، من مصاحبتة
في سهرة عامة •

وقلت :

— اغفر لى •• فأننى لن أستطيع •

— ولماذا ؟

قال ذلك وخيبة أمل ينضح بها صوته الأجلش •

— لأننى مسافر غدا •• الى « باتايا » ••

قمضى (شار) مكفهر الوجه ، أما أنا فقد رحت أعد
حقيبتى استعدادا للرحيل •

* * *

الحلقة السابعة

((باتايا))

أضواؤها حمراء

لم اكن اعرفهما قبل ان اتوجه الى مصيف « باتايا » ،
ولكنه بسوء الحظ وتعاسة الطالع • فقد أدركت منذ البدء
أنه من المحتم على أن لعب دورا ، بل عدة ادوار ، كى
لا يتصادما وكى لا يقع مالا تحمد عقباه ، خاصة وانهما
عربيان ، وان كان الأول « أقرع » والثانى « احول » و •
• والله فى خلقه شؤون •

وقد جمعتنى بهما صدفة عمياء ، اشبه بالمؤامرة •
اذ فى نفس السيارة الكبيرة المكيفة ركبنا ، وفى ثلاثة
مقاعد منها تجاورنا ، وعلى امتداد تسعين ميلا من (بانكوك)
الى (باتايا) تعرقنا ، وتحديثنا • ثم اختلفنا ومن هنا
ولد دورى ، وبدأت تعاستى •

قال الأقرع :

— أين تقع هذه الباتايا اللعينة ٠٠ أربع ساعات ولم
نصل ؟

فحذق فيه الاحول على الفور وقال :

— هل أنت مجنون ٠٠ لم يمض من الوقت سوى
ربع ساعة .

قطب الأقرع ما بين حاجبيه بعد أن نظر في ساعته التي
سرعان ما وضعها تحت أنف محدثه وقال :

— انظر أيها المجنون ٠٠ إنها تشير الى الثانية
عشرة . وقد بدأت الرحلة في الثامنة ٠٠ اليس كذلك ؟

فقهقه الأحول وقال في شماته :

— لو كنت مكانك لقدفت بها من النافذة ٠٠ إنها ساعة
مخرفة مثلك .

— اخرس ٠٠ إنها رولكس .

— وحدوا الله ياجماعة .

قلت هذا ، فلم ينطق أحدهما بحرف ، فواصلت حديثي
وأنا استمد معلوماتي من كتيب فتحت صفحاته وقلت :

— « باتايا » مدينة تقع جنوب شرق بانكوك ، وتبعد
عنها تسعين ميلا . وتعد من أجمل مصايف خليج سيام .

وتستغرق الرحلة عموما اليها مابين ساعتين ٠٠ وساعتين
وربعا .

هل الاحول متحديا الاقارع وقال :

— أرايت ؟

قرد الاقارع فى عناد :

— لكنها الثانية عشرة ٠٠ وساعتى لاتخطيء .

— فقلت :

— معك حق ٠٠ ولكنك على مايبدو لم تؤخرها ٠٠ الا
تعلم أن فرق التوقيت بين الكويت أو الدوحة أو الظهران
وبين نظيره فى بانكوك هو أربع ساعات ؟

اقتنع الاقارع، وابتسم الأحول فى انتصار دفعة لاشعال
لفافه تبغ لى وله وتردد فى تقديم أخرى الى زميله ٠٠ لكنه
فعلها واعطاء واحدة ٠٠ فهذا التوتر قليلا .

* * *

فى فندق (هوليدي أن) ٣٧٠٠ غرفة بمدينة « باتايا »
استمر الطالع فقد اعتبرتنا ادارة الفندق مجموعة سياحية
واحدة ، ومن ثم من باب المجاملة وحسن المعاملة ،
اعطينا ثلاث غرف متجاورة تماما . وما أن دخلت غرفتى
حتى قذفت بحقيبتى — وليس بجواز سفرى أو نقودى — الى

ركن منها ، واتجهت الى النافذة كي استطلع معالم الدنيا
من حولى .

فأدركت على الفور ٠٠ ان « باتايا » جنة ٠٠ جنة
حقيقية . فها هى الفنادق البيضاء ، وعلى امتداد الشاطئ
وتعانق المياه ٠٠ مياه خليج سيام ، فى وداعه سرب من
البحر الأبيض ، يمضى بين عالمى لونين هما الأزرق
والأخضر وإذا كان البحر من هنا يهبك متعة الاحساس
بالجلال والصفاء ، فإن الغابة النابضة بالحياة تمنحك
الشعور الدافق بعذرية وطهارة عالم فطرى لم يلوث بعد .

وكى اتخلص من أرهاقى ، غطست بعد برهة فى
الحمام ، تاركاً المياه الساخنة تروض صلادة الاحساس
بفقدان التمتع بمعالم الطريق مابين بانكوك وباتايا ،
وسامح الله كلا من الاقرع والاحول ، فقد قطعت الطريق
كله دون أن اتذكر غير رؤيتى لقرية « سى راشا » ، حيث
تقع هناك على يمين طريقها مصفاة نفط ، وعلى يسارها
محطة اتصال غير الاقمار الصناعية .

حوالى الساعة السادسة مساء ، صبحت على
انفجارين ٠٠ احدهما التليفون ، والآخر باب الغرفة ٠٠
وكان الرنين وقرع الباب مستمرين فى عنف متحد ،

جعلنى أهب من سريرى لأضع حدا لقرع الباب الذى ما أن
فتحته حتى دخل صديقى الاقرع هادرا :

— هل أنت ميت ؟

وطرت نحو التليفون ليفاجئنى صوت الأحول كالزوبعة
قائلا :

— هل أنت أطرش ؟

ولم أكن ميتا ولا أطرش .. بل كنت تعيس الحظ تماما .
ولهذا هبطت معهما الى .. المطعم .

« باتايا » .. فى الليل شعلة من الأضواء الراقصة
كمياه خليج سيام ، وشارعها الرئيسى بمبانيه وملاهيـه
ومطاعمه .. يشبه الى حد كبير كورنيش الاسكندرية، والى
حد ماكورنيش كل من مدينة الدوحة أو مدينة الكويت ..
لكن الفرق هائل هنا .. لأن « باتايا » لا تنام .. والسبب
عائد الى كون مدن الخليج العربية مدن محكومة بالتقاليد
.. تقاليد الدين ، وتقاليد معسكر العمل ، اما هنا فى
« باتايا » فلا حدود لأى شىء .. فكل شىء مباح ..
لأنها مدينة ترفيه بكل ماتعنى الكلمة من معنى .

وبين الظلال .. والأضواء وأشجار جوز الهند والسفن
الراسية وعلى هدهدات الضحكات واصداء الطبول

وشلالات من الغناء المحلى والغربى ، مضينا صفا واحدا
يقودنا « الأقرع » لأنه كما قال «شرطى» وله أنف لا يخطيء
(مثل ساعته تماما) مواقع الانس والطعام الجيد • ولما
كان (الأحول) جائعا بدرجة كبيرة فقد صمت ، مدخرا
عناده وصياحه الى وقت آخر • وابتعدنا عن الفندق ،
لنصبح فى قلب جنة الليل • وطالعتنا حشود من
الاسماء :

« دينوس ، هاربر لايتس ، ساندبوكس ، نيوسويت
هيرت ، ميلانو هوفبرين » •

ولما كنت مهتما بقراءة كل نشرة تقع بين يدي ، فقد
تذكرت أن افضل مطعم فى « باتايا » هو مطعم (باربوس)
لأنه أنشئ فى عام ١٩٥٣ ، ولأنه أولا واخيرا يقدم افضل
انواع السمك •

تذكرت هذا وذكرته لصديقى فقال الأحول :

— اليه فورا •

وقال الأقرع :

— أين هو أولا ؟

ومضينا نبحث عنه ، والغريب أن الأحول هو اول من
راه وبطلنا •

ثلاثمائة (بات) دفعناها بالتساوى ، وهى تعادل ١٥ دولارا فقط . لكن ماتنا ولنا من أسماك وخضار وفواكه ومشروبات (بريئه) لا يمكن أن نحصل عليه فى الدوحة مثلا بأقل من اربعمائه ريال . دفعنا وخرجنا .. لكن الليل مازال فى بدايته ..

— كيف ننام فى بلد لا تنام ؟

قال الأقرع ، فتلفت الأحوال ماسحا الباربات والمطاعم وبنات الليل بناظريه ، ثم غنى بصوت اجش :

— « مر ظبى سباني .. »

فلمحت أكثر من وجه يلتفت نحونا ، ومن ثم أدركت أننا لسنا العرب الوحيديين هنا ، ولكن المدهش حقاً ان ما يحكم السلوك هنا هو جو (باتايا) وتقاليدها .. لذا .. فكل يغنى على ليلاه .. وآه من ليلى .. ومن الليالى ..

« لأحد ينام وحيدا فى « باتايا » . قاعدة تحكم الليل فى تايلاند كلها ، وتتجسد فى (بانكوك) ، كما تتضح بصورة أكثر اغراء فى (باتايا) . اذ مايكاد السائح يضع قدميه فى أى ملهى أو صالة رقص ، أو فندق ، حتى تنهال عليه — عروض — شتى .

وكلمة « مساج » تعنى هنا « ممارسة الحب » مع من تختارها . والظبية هنا لا (تسبيك) ، ولكنها قد « تسبك

ان دعوتها الى مائدتك دون ان تنتهى الدعوة بدعوتها الى
مجددك .

وفى الحقيقة . وهو أمر مؤسف ان السائح هنا يجد
نفسه وجها لوجه أمام « أسواق الرقيق » الحقيقية التى
طالما سمع عنها ، أو رآها ان كان قد عاصرها .

لماذا ؟

لأن فتيات المساج ، والحمامات التركية والسونا ..
وغيرها من أسماء ماهى الا « مصائد أسماك بشرية »
وأسواق نخاسة بكل معنى الكلمة . وقطيع الفتيات (وليس
قطيع الحيوانات) متوفر بدرجة محزنة (انسانية) أينما
توجهت . ومن أبسط الامور ان تدخل محلا للمساج ، لتجد
عشرين أو ثلاثين فتاة .. كلهن جالسات داخل قفص
زجاجى ، وكل منهم تحمل رقما ، وما عليك الا أن تختار
وتدفع .. وتصبح بالتالى غير وحيد .

وهذه المهنة المستترة ... هى (بغشاء) و (رقى)
حقيقيين . يمارسهما ويشرف عليهما عناصر وطنية ،
وعناصر أمريكية وفرنسية ويابانية وإيطالية . وكلنا
يعرف ما تنتاقله الصحف من انباء (توريد) فتيات بانكوك
الى اوكار الرذيلة فى المانيا تحت ستار الزواج أو العمل
أو السياحة .

والأمر هنا باختصار يجعلك تؤكد ان الحصول على

علبة تبغ أمريكية ربما يكون أصعب من الحصول على فتاة
 وخمسة وعشرين دولار على أكثر تقدير تعد كافية تماما
 بل مرضيه ومجزية مقابل ليلة كاملة .

ولا مجال للتساؤل عن الأسباب . . أسباب الانحراف
 المذهل هنا ، لأن الدولار الأمريكى هو المحرض ، والفقر
 سبب من أهم الأسباب .

وإذا كانت أمريكا كما قال صديقى (كاوسونج) فى
 بداية تعارفى معه : قد جعلت من تايلاند جزيرة للترفيه
 والاستجمام ، وان الحرية الوحيدة المضمونة فى تايلاند
 هى حرية البغاء ، فان قوله هذا وبعد رؤية عين محققة ،
 يغدر اقترابا من الحقيقة بعينها .

فى ملهى . . ليلا . .

موسيقى مدوية ، واناس مخمرون يحملون خارجا ،
 والساقيات يدرن كالفراشات مقدمات عروضهن وخدماتهن
 للزبائن على امواج موسيقى غربية صاخبة . وتفترغ
 زجاجة ، وتوضع أخرى مكانها فورا . لكن ماذا يحدث
 بحق الجحيم ؟

اجساد تتلوى . .

فتاة تراقص فتاة ، وصبى يراقص فتى ، وخمس فتيات

يُتحدثن ٠٠ يضحكن يجالسن انفسهن في انتظار زبون
موسر وجريء وشيق ٠

وفتاة أخرى ترتدى كالراقصة ، نصف فستان ، تمضي
مترنحة نحو المغسلة ، وأخرى تتجه نحو رجل وتهمس
قائلة :

« حبيبي ٠٠ اجرنا هنا قليل ، هل يمكنك اقراضى »
١٥٠ بات ؟

ويلوح الرجل بيديه رافضا ٠٠ ثم يضم فتاه بجواره
الى حضنه بزمده القوي ٠٠

وتجئ أخرى ٠٠

— ما رأيك ؟

— أنا اعتذر ياسيدتى ٠٠

و ٠٠ واصرخ :

— كشف الحساب ٠٠

وانفع ، لاخرج ٠٠ وحيدا ٠٠ لكن أين الاقرع
والأحول ؟

الأحول ، بعين واحدة نصف مفتوحة ، أما الأخرى فقد

ثحولت الى كتلة لحمية زرقاء مثورمة • والأقرع مشجوج
الرأس متوهج العينين ••

— ما الذى جرى ؟

سألتهما ، فى الصباح ، بعد اختفائهما المريب ، فصرخ
الاثنان فى صوت واحد ••

— وقعنا فى كمين •

وعرفت انهما اصطحبا فتاتين — أو هكذا كان ظنهما
بادئ الأمر — لكن اكتشاف الحقيقة جاء متأخرا ، إذ لم
تكن الفتاتين سوى مخلوقين من « الجنس الثالث » غررا
بالأحول والأقرع وضرباهما •• ثم جرداهما من
النقود •



فى جزيرة (مارلين) وهى جزيرة مهجورة الا من بعض
أكواخ صيادين تايلانديين بسطاء جدا ، فقراء جدا ، لكنهم
أمناء الى أقصى حد • هناك انزلنا القارب الآلى • بعد
رحلة استغرقت ثلاث ساعات ، دفعنا مقابلها (ثلاثمائة
بات) ومن ثم رحنا نستمع بدفء الشمس ، وبرودة
المياه • ولما كان البحارة قد سبق وأن حذرونا من الابتعاد
عن الشاطئ — فالجزيرة مهجورة وموحشة فقد رحنا
نقطع الوقت فى التعارف والحديث •

رجل مجفف كعود القصب ، سالنى وهو يفرك شعره
الاشقر الذى يخالطه الشيب :

— ماعملك ؟

— صحفى •

— من اين ؟

— من فلسطين •

سمع ذلك فمد يده يحسب انى فى حرارة ، واخبرنى
انه من المانيا الغربية سبق وان عمل فى فلسطين قبل النكبة ،
واسرحت انه لولا الخوف — من المخابرات الصهيونية او
الالمانية — لصرخ بأعلى صوته •

« انا هتلرى •• انا نازى » •

فتاة من السويد ، تعمل مدرسة فى استوكهلم ، لكنها
تصلح لأن تكون راقصة بجسدها البرونزى المضىء المتدفق
انوثته وحياة •• قالت لى :

— اسمع •• ان حياتكم اجمل من حياتنا ، واتمنى
ان اكون زوجة عربية ••

— لماذا ؟

— لأن عمل المرأة قاتل .. قاتل .. فى الدول
الصناعية .

— لكنكم تدعون ان نساءنا العربيات جوارى
ورقيق ..

— انا مثقفة . واعرف عنكم الكثير . وعموما جارية
مع رجل يحبها وأولاد .. يحترمونها طول العمر ، أفضل
من جارية فى مصنع أو مؤسسة ، وأنا .. مدرسة لأننى
رفضت أن اكون امرأة إليه .



لما كان الأقرع والأحول لايعرفان من مفردات اللغة
الانجليزية مايزيد عن عدد الأصابع . فقد قمت بدور المترجم
وفى قسم الشرطة أبلغنا عن حادثة السلب والنهب
والضرب .

وبعد يومين .. عادت النقود المسلوقة لكن آثار
الضرب مازالت باقية . وعندما خرجت مع هديقى من قسم
الشرطة .. قال الأحول :

— من حفر لأخيه حفرة وقم فيها .

فرد الأقرع :

— اذا كان الغراب دليل قوم .

ولم أعرف حتى الآن من قاد منهما الآخر الى التهلكة .

* * *

فى طريق العودة ٠٠ من جزيرة (مارلين) (١٣) اشار
البحار التايلاندى بيده النحيلة نحو جزيرة لاتبعد الكثير
عنا وقال :

ـ هذه جزيرة الملوك .

ـ خذنا اليها .

صاح كل من فى المركب الالى وهى متجهة صوب ٠٠
« باتايا » .

ـ الوقت متأخر .

ـ اذن اى ملوك هم اصحابها ؟

ـ اوه ٠٠ هنا قصور ملك نيبال ، ملك الاردن ، ملك
المغرب ، وملك ايران .

ـ الشاه له قصر هنا ؟

ـ نعم ٠٠ الشاه ٠٠ له قصر فخم هنا .

ـ والدخول الى الجزيرة ٠٠ مسموح به ؟

ـ لا ٠٠ الا بتصريح .

* * *

عند خياط هندى ، مقيم هنا فى « باتايا » ٠٠ منذ

عشرين عاما لم تعجبني الملابس الجاهزة ، فما كان من صاحب المحل ، الا ان اخذ المقاسات ، وقال لى :

— بعد ٢٤ ساعة ستستلم كل شىء جاهزا •

— وعد حقيقى •

— ثق بى ياسيدى •

وبعد ٢٤ ساعة تماما كانت القمصان والبنطلونات جاهزة • وهو أمر دفع الأقرع والأحول الى تفصيل حشد منها •

كاد الأحول والأقرع ان يقعا فى مصيبة جديدة ، والأمر ببساطة انهما كانا يساومان بائع « الماس والزمرد » المتجول على شراء عدة قطع • ولحسن الحظ ادركتهما قبل ان تتم الصفقة ، فالباعة هنا لا يبيعون حجارة كريمة حقيقية والمغفل وحده من يقدم على شراء شىء منهم •• لانها مجرد قطع من زجاج ملون •• وعندما ابتعد البائع غاضبا سألنى الأحول :

— كيف عرفت انها من زجاج ؟

قلت والأقرع يحمد الله :

— بالنظر •

فابتسم الأقرع وقال :

— لا (حول) ولا قوة الا بالله .

ثم قهقهه ، فتكهرب الجو ، لكنى بددت شحنة عراكمها
بالذهاب الى محل للمجوهرات . . وهناك قال لنا البائع :

« فى تايلاند يوجد ٢٠٠ ألف عامل لقطع الاحجار
الكريمة : وأهمها هنا الياقوت الأسود والأخضر ، اما
الزمرد فيأتينا من باكستان والهند . كما أن بورما
وسيريلانكا وكمبروديا . . تعد من اشهر البلاد فى مجال
تصدير وانتاج الاحجار الكريمة . . ونصيحتى . . لاتشتروا
ابدا أحجارا كريمة من الباعة المتجولين .

* * *

انا . . والأقرع والأحول . . لانمثل النماذج العربية
فى تايلاند ، فهناك من هو أدهى وأمر وألعن . . وما أكثر
الحكايات عنا وما أكثر الانتقادات . . ولكن اية حكايات
تلك ، واية انتقادات ؟

* * *

الحلقة الثامنة

وجوه . . من هناك

من المؤكد أن الأفرع والأحول . . وأنا ، لانتمثل كل النماذج العربية في تايلاند ، وإن هناك حكايات وانتقادات تحيط بنا - كعرب - كجزام نووي صحيح أن هناك من يعشقون القوة النووية ، ولكن قوة وجود الظاهرة العربية السياحية ، في أي بلد ، ليس منشؤها الذرة ، وإنما النفط الأسود كليالينا وخيامنا - السياسية - وسمعتنا : ولقد لست كم هي قائمة صورة العربي في جنوب اسيا ، اننا باختصار قوم (نهب) نلوث من يحتك بنا .

وإذا كان من الممكن تشبيه الوجود العربي في جنوب شرق اسيا أو غيرها . . بالزجاج ، فإن زجاجنا العربي هناك قبيح ومهشم ، لأنه ولسبب بسيط لا يشكل إطاراً لنشاط ثقافي ، ولا يتواجد حيث تتوهج النقاط الحضارية

من اوبرا او متاحف او مكتبات ، وانما يتكسوم كله فى
اماكن الشبهات من بارات وملاه • ومن هنا يصدر عدم
الاحترام والتقدير •• حتى لو تحول الوجود « الزجاجى »
العربى الى « الماس » •



واذا كان التعميم خاطئا عند الحكم على ظاهرة ما
لأن هناك دائما القاعدة والاستثناء ، فان الاعتراف ايضا
بالحق فضيلة ، ونقد ذاتى لا يهدف الى التجريح أو الاحباط ،
لأن قدرنا مرحليا ، ان نعانى من خناجر التخلف صحيح
انه لا قانون حتى الآن يعاقب على التخلف •

ولكن هناك القانون الطبيعى أيضا ، ولا فرار من
أسره • وإذا كان هذا القانون يطبق بشكل اوتوماتيكى
نص « البقاء للأصلح والأقوى » •• فكم منا ياترى يصلح
للبقاء ؟



« لو احببنا السماء ، كما نحب النساء ، لاصبحنا كلنا
قديسين » •

قول لكاتب غربى ، تذكرته وأنا ازور صديقا لى فى
« جريس هوتيل » بمدينة « بانكوك » • كان مريضا لسبب
غريب ، فقد أصيب بالهزال والضعف ، لأن المسكين اعتقد
ان كل قطعة لحم اصلها خنزير ، وان أى دهن هو دهن

خنزير • ولما كان متدينا فقد عاش على البسكوييت والشاى،
لمدة اسبوع ، فكان ان وقع طريق الفراش ، ولم يكن لديه
حل آخر ، لأن كل من حوله من العرب ماكان يأبه بنوع
اللحم ، فسواء كان لحم خنزير أو قرد فالأمر سيان ••
والمهم (الوناسة) وراحة البال ••

وهما هنا فى « جريس هوتيل » متوفران بشكل
خرافى • لأن هذا الفندق يعد نقطة تجمع لكل منحرفات
المنطقة المحيطة ، ولعظم محلات المساج والحمامات التركية
والسونا ، قبل وبعد أن تغلق أبوابها • اضافة الى اخريات
متفرغات لزبائن الفندق • وعندما اخبرونى أن « جريس
هوتيل » قد عرب ، وأن مديره ومحاسبه وعمال الاستقبال
فيه من العرب •• لم أصدق أبدا ، ولكن بعد زيارتين فقط
تأكدت أن الأمر بصورة ما حقيقى • ففى المصعد ، أو فى
صالة الاستقبال أو فى (الكافتيريا) تطالعك وجوه عربية
صميمة • وإن أردت حجز غرفة ، فإن أكثر من عربى يدس
أنفه ليتوسط لك ، وعند الرحيل تجد من يودعك ، وخرجت
من الفندق •• وصورة العقال العربى تخيم فوق ادارة
« جريس هوتيل » •• الذى عربوه دون أن يدري • وهو
أمر جميل ، لكن السئء والمؤسف ، أن السكازى من العرب
هناك ، يقدّمون لك مجددا صورة المسطول الصينى أيام
لعنة الافيون الغابرة فى الصين الشعبية •



فى كثير من شوارع « بانكوك » يمكنك ان تفرح فجأة وخاصة عندما تلمح اعلانا أو اسما مكتوبا باللغة العربية . وما أكثر ما قرأت « اهلا بالزبائن العرب » و « لحوم على الطريقة الاسلامية » .

و « هنا توجد الكبسه » . اذن فاللغة العربية تزحف مع السائح العربى ، وفقرش تسهيلات ولكنها تسهيلات فاسحة الثمن على أية حال .



هل أصدق ما أرى ؟

فتاتان عربيتان تتجولان فى منطقة «Pat Pong»

وهى أفسد كيلو متر فى العالم ، ولا يضاهيها فى موبقاتها سوى (حى سوهو) فى لندن ، أو منطقة (ساو باولو - فى هامبورج . . وتتبعتهما خفية ، لأتأكد . وتأكدت انهما عربيتان رغم ارتدائهما لاضيق انواع الجينز فى العالم .

وصدقه جاء من يخبرنى ، بانهما قد حضرتا معه فى الطائرة القادمة من (٠٠٠٠) ، وانهما حاليا فى فندق « مونتين » . ورغم انهما جاءتا بمفردهما أولا . الا انهما تشاهدان يوميا فى فندق هليتون بصحبة عربيين آخرين . .

وان غرفتھما ، حيث تقطنان ، تظل شساعة طوال الليالى . وذات ليلة صادفتھما برفقة شساين أوربيين

فتذكرت ما قيل « لو فقدت المرأة حياءها ، لفسدت حياة
البشر » .

فى « روز هوتيل » رأيته وصادفته . كان رجلا هرما
مقوس الظهر وعربى ايضا ، وقد أخبرنى انه قادم لعلاج
عينيه فصدقته .

وبررت رفضه التجول معى نهارا فى شوارع بانكوك ،
كما بررت عزوفه عن زيارة المتاحف والحدائق والمعابد ،
وكان المسكين دائم النوم بالنهار . بدليل وضعه يافطة
على مقبض باب غرفته باستمرار . وقد كتب عليها « رجاء
عدم الازعاج » . ولكنى ذهلت عندما اكتشفت صدفة
خروج راقصتين من غرفته ، اذن كان اللعين يمويه تحركاته
ومغامراته . بادعاء المرض . وعموما فهو حر . واذا
بليتم فاستتروا ، و . . . وقد استتر . . . الى حين !! . . .

فى مقر شركة « كاتى باسيفيك » للطيران وجدتتهما . . .
كان الاول فى الستين والآخر أكبر منه قليلا ، ولما كنت
فى عجلة من أمرى لاضطرارى الى تغيير مواعيد الحجز ،
فقد شغلت عنهما ، ولكن صراخهما دفعنى لان اتدخل
وادركت على الفور أنه من المستحيل ان يحلا مشكلتهما
بمفردهما . فالفتاة التايلاندية ، لاتفقه شيئا من اللغة

العربية ، وفما لايعرفان شيئا من اللغة الانجليزية ولكنهما
يريدان السفر ..

وحللت المشكلة فأعريا من شكرهما البالغ ؛ لكنسى
سالت الأول *

ـ اى بلاد زرت فى جولتك ؟

ـ هونج كونج ، تايوان ، مانيلا ، سنغافوره ، والآن
بانكوك !!

ـ وهل سعدت برحلتك هذه ؟

ـ لم اترك شيئا الا وفعلته .. وان بقيت بعض الامور ..

ـ ولم العودة اذن ؟

ـ الآننا افلسنا يا ..

توقف عن الكلام ثم سال :

ـ من اين انت ؟

ـ فلسطينى

مد يده مصافحا وقال :

ـ حياك الله ياالفلسطينى .. والله لم ينقذنا من مثل
ورطتنا هذه فى هونج كونج الا .. فلسطينى ..

افهمنى ، بعد أن دخل غرفتى مصطحبا طفله ، أنه من سلطنة عمان ورغم أننى لا أعرفه ، فقد قمت بما يجب نحو أخ عربى ، ولكننى لاحظت أن لغته غير طبيعية ، فهى خليط من الانجليزية ، ولغة لا أفقها ، اضافة الى مفردات عربية ورغم شكى وريبتى ، فقد حزنت من أجله ومن أجل صغيره عندما أخبرنى أنه لم يذق النوم منذ يومين ، ومن ثم احضرت لهما وجبة كافية ، لكنه باعثنى بطلب الف بات « ٢٠ دولارا » وابدئ استعداده لردّها اثر عودته الى بلاده ففاجأته
بسؤالى :

— انت لست من سلطنة عمان •

صمت فجأة وقال :

— صحيح •• والحقيقة اننى من عرب زنجبار ، وقد حضرت الى تايلاند مع عائلتى ، لكن نقودى نفذت •

— لم لم تحجز تذكرة للعودة ؟

— لا امكنة خالية فى الطائرة وأدركت أنه لايقول الحقيقة ، فاعتذرت ولكنه بدلا من أن ينسحب فى هدوء قال :

— اللعنة على كل العرب ، لقد قصصت السفارة السعودية ، والسفارة المصرية وكذلك العراقية •• فى بانكوك •• فلم يستقبلنى أو يساعدنى احد •

قال ذلك ثم صنفق الباب فى غضب ومضى .

وبعد يومين وجده بصحبة فتاة اوروية شقراء ، ولا
اثر للصبي . . . والغريب أنه كان يضحك ملء فيه . وعندما
رويت الحكاية لصديق عربى سألنى قبل ان اروى له بقية
الحكاية :

— هل اعطيته شيئا ؟

— لا . . .

— عظيم ، فهو نصاب دولى ، ولا علاقة له بالعرب من
قريب أو بعيد .

انها فتاة من تايلاند . . .

وهى جميلة كبداية كل قصصة حب . وقد استدار
حكايتهما مع شهاب عربى عندما قال لها « انسى احبك ،
فصديقته . . . وتزوجها ، لتمضى معه ستة اشهر فى احدى
المزارع فى دولته ، ولما بدأ الجنين يدب فى احشاسانها
سألته :

— هل تحببى ؟

— نعم . . .

— وهل أنت على استعداد للموت فى سبيل الحب ؟

— كلا ٠٠ فان حبى من النوع الذى لايموت ٠
واكتشفت بعدها انها لم تكن زوجة بل خلية تخلى
عنها بعد أن همد الوحش فى أعماقه ٠٠ وطردها ٠
وفى « بانكوك » لاتكف تلك الجميلة عن تذكر الأيام
الخوالى ، وتحكى لك عن : محمد عبده ، وطلال مداح ،
وشادى الخليج ٠ وتعزف أيضا كيف تشتمك أقذع شتيمة ٠
وكل هذا بلغة عربية واضحة صحيحة ٠ بل انها تعرف أيضا
كلمة « سيبالو » ٠ وكتبت فى مذكراتى ، وأنا اسستعيد
ماساتها :
« اين ذلك « السيبالو » العربى ، الذى تخلى عن طفله
دون وازع من ضمير أو رادع من دين ؟ ! » ٠٠٠

انه «شارع القردة» (١٤) ٠٠ فى «باتايا» ، ولكن صاحبنا
سميد بالموقف ٠
وهناك ، لامجال الا للسياح والقردة التى تعيش على
مايقدم اليها من الموز والفسق ، ولأنها صغيرة الحجم
فان الأطفال لا يخشون مداعبتها أو الاقتراب منها ، ولكن
عليك أن تحذر تماما من تلك القردة الموجودة فى أعلى
الجبل ، صحيح أن ماتقذفه من حجارة لاتقتل ، لكن ماذا
سيحدث لو اصابك عينيك ؟ وماذا لو قذفتك بغير الحجارة
أو الحصى ؟ ٠

١٢٩

(م.٩ - جيوكندا من الشرق)

ووسط هذه القردة النشطة ، والعابثة ، وقف هو
وأولاده ولفترة ماتحول أطقاله الى قردة، مما اضطر القردة
الحقيقية الى تسلق الاشجار والصخور • بل أن بعضها
قد قذف بنفسه داخل سيارة مفتوحة الأبواب والنوافذ •
ولم يكتف أولاده بهذا بل انطلقوا - وهم سبعة - مع
أكبرهم وهو فى الحادية عشرة الى زهور الشارع فاجتثوها
وهنا تدخل بعض الحراس التايلانديين وفى غاية الادب
اعربوا عن انزعاجهم فالقردة مسالمة والزهور لم تزرع
للتدمير فما كان من صاحبنا الا ان استل محفظة نقوده
وقدم منها مبلغا للحارس • الذى رفض اخذها • ربما
لوجود دليل الرحلة التايلاندى معنا •

وفى طريق عودتنا ، عرجنا على أحدث مزرعة لزراعة
زهور « الاوركيد » الشهيرة ، فوضعت يدي على قلبى •
فصاحبنا وقافلة التدمير المرافقة له من أولاده •• لن تبقى
ولن تذر •• وحمدت الله •• لأن المزرعة مغلقة ولأن أحدا
لم يسمح لنا بالدخول •

وقلت اخاطبه :

- سلمت من موقف عصيب •

فرد بلا مبالاة :

- افضل ان يكونوا على حريتهم •

- حتى لو دمروا مزرعة الاوركيد ايضا (١٥) ؟

— كل شيء قابل للتعويض .. وعندي من المال الكثير !

فصمت ، وخاطبت نفسي « الفرق بين السفاح والفنان هو ان الاول يقتل العصفور ، بينما الآخر يعشقه » .

* * *

فى ملهى « بلوسكاي » فى بانكوك حدث امر غريب .
اذ اقفل الملهى ابوابه فكان كل من يمر بابوابه ، يظن ان صاحبه قد انتقلت الى رحمة الله .. او ان الامر يتعلق بمخالفة ما .. ولكن الحقيقة .. كانت ابعد مما تكون عن هذا وذاك .

— اذن ما السر ؟

— انهم العرب !!

هذا ماترويه صاحبة ملهى (بلوسكاي) لكل من يعجبها من الزبائن سواء برقته أو حسن مجاملته . وتؤكد انها لن تنسى ابدا ماتم .. ذات ليلة ..

— ماذا حدث بالضبط ؟

— كان الليل بأوله والزبائن لم يتقاطروا بعد ، وفتيات البار والراقصات العشر يتجاذبن اطراف الحديث ضاحكات ومع كؤوس الشراب كن ينتظرن الزبائن .. وفجأة دخل أربعة شبان ونصف ..

— أربعة ونصف ؟

— نعم ، أربعة شباب طوال القامة . اما الخامس فقد كان من نوع « الترانزستور » ومع ضحكاتها تكمل : الأول كان أسود اللون يرتدى على رأسه قبعة تشبه الاهرام ، أما الثانى فقد كان بلا قبعة ولا شعر . والثالث ذو لحية كثة وان كان أصلع . والرابع كان أبيض البشرة بسنة ذهبية . أما النصف الأخير وهو الخامس فقد كان أشبه بالمثل ميكى رونى فى شقاوته وعيئه وهياجه .

— ثم ماذا ؟

— بسيت أن أقول .. انهم كانوا يحملون آلات موسيقية غريبة . بعضها مثل بطيخة كبيرة . وأخرى مثل صينية بها قطع صغيرة على حرافها . ثم طبله . (كانت تعنى بذلك : العود ، والدف « الرق » والطنلة الصغيرة) !!

— فرقة موسيقية اذن ؟

— لا أدري .. لأنهم لم يطلبوا عملا ..

— ماذا طلبوا ؟

— اغرب ماسمعه فى حياتى .

— ماذا طلبوا ؟

• طلبوا منى أن أغلق المحل عليهم • وقد كان
وابتدأت المظاهرة

• كيف ؟

• أقفلت الملهى، وبدأت كؤوس الشراب تفرغ بسرعة
مخيفه ، وما أن •• انقضت ساعتان •• أو ثلاث حتى
قذف الأول بقبعته الهرمية الى سقف الملهى •• أما الثانى
فقد غسل صلبته بالبييرة ••

• الله اكبر

• ماذا تقول ؟

• اعبر عن دهشتى •• استمرى •

• اما الثالث فقد خلع معطفه وقميصه وظل طوال
الليل عارى الصدر !!

• وماذا عن الرابع ؟

• دفن لحيته فى صدر راقصة •

• والنصف الآخر ؟ !

• اه •• كان العنهم بلا جدال ، واشدهم تحملا
للشراب ولكن •• نسيت أن أقول : أنه كان يحمل معه
عقدا غريب الشكل فى نهايته ذؤابه •

• هذه مسبحه •

— المهم أنه لم يتركها حتى وهو يترنح وراء الميكروفون .

— وماذا كان يفعل وراء الميكروفون ؟ ..

— كان يغنى .. وان لم أفهم بالطبع شيئاً .

— .. كان يغنى ؟ ..

— وكان الآخرون قد جردوا ألاتهم .. وبدأت أسمع

أغرب موسيقى وغناء فى العالم .. وللحق أقول .. كانت

موسيقاهم راقصة .. وذات وقع يحرك الاوصال !!

— كيف تم ذلك ؟ !

— بعد أن سكروا كادوا يتجردون من ملابسهم ،

وكذلك الفتيات الراقصات .. أما عازف الكاباريه فقد سقط

نائماً مخموراً بعد أن تنجرع زجاجتى خمر شديدتى

المفعول .

— على حساب من ؟

— على حسابهم !!

— وهل خرجوا أربعة ونصف ؟ !

— لا .. كانوا ستة .

— ستة ؟ !

— نعم ، فإن « الترانزستور » كان عبارة عن ثلاثة

شياطين مجتمعه فى جسد واحد ، كان سكيلا ، وكان مطربا
وكان ملاكما ٠٠

— ملاكما ؟ !

— نعم فبعد أن استبد بهم السكر تشاجروا ٠٠
فحطموا المحل ٠ ولكن الفتيات تغلبن عليهم ٠٠ بالطريقة
المعهودة ٠٠ وغمزت بعينيها ثم اشارت بيدها اشارة
داعرة ٠

— وهل دفعوا كما يجب ؟ !

— بل قل دفعوا بشكل يفوق دخلي لمدة شهر !!

انهم اغنياء ٠٠ لكنهم مجانيين ، هل تسمح لى بسؤال :
— اسالى ٠٠

— هل أنت عربى ؟ ٠٠

صمت برهة ، وهى تحقق فى وجهى ، ثم قلت :

— انا من جمعية « الرفق بالانسان » ،

انتهت اقامتى فى تايلاند ، لان تأشيرة الدخول لاتسمح
بالبقاء أكثر من خمسة عشر يوما ، ومن ثم أعدت العدة
لمغادرة بانكوك ، ولكن الى أين ؟ سؤال القيته على الأكثر
من شخص ، فاجمع الكل على ان سنغافورة مدينة ودولة
تستحق المشاهدة ٠٠ فتوجهت اليها بالطائرة ٠٠ وهناك
رأيت ماهو أغرب ٠ لكن ترى أهو غريب حتى بالنسبة
للبآخرين ؟

الحلقة التاسعة

في ضوء الجنوب

هاهى سنغافورة اذن !!

ولكن ماهذا ؟ ماهذا النسق الرهيب من البنيان ؟

ثم ماسر هذا الجمال الذى تنبض به أرجاء المدينة ؟

واى قاعدة تلك التى تحكم سلوك البشر هنا ، فلا

يرمون قشة فى الطريق ، ولا يدخنون - أو هكذا خيل الى -

وايضا لا يتشاجرون . ١٠٩

اسئلة رافقتنى كظلى ، منذ ان استقرىى المقام فى

(اكواثوريال هوتيل) (٢٢٥ غرفة) ، بعد رحلة بالطائرة .

استغرقت ساعتين مابين بانكوك وهنا ٠٠ وظلت كوقع

خطواتى عبر شوارع سنغافورة تلهث باحثه عن سر ما

ارى ، وما اراه مذهل وجميل ، لان سنغافوره غابة ومدينة

عصرية، هى اسيوية لكنها اوروبية (١٦) . وغنية لكنها فقيرة ،

وهى « مدينة الأسد » لكنها من جانب آخر « ضوء الجنوب »
وهى قطعة من أرض الديانات لكنها بلا دين .

هل هذا لغز ؟

نعم بالنسبة لى على الأقل ، أما بالنسبة لصديقى
« راجا » فقد كان هذا كله مجرد شئ عاوى ، بل ومقدس
أيضا ، تماما كعبادة الابقار التى يمارس طقوسها « راجا »
بكل بساطة وتبتل تحيران العقل .

و « راجا » شاب هندى فى الخامسة والعشرين من
عمره ، اسمر البشرة كمعظم الهنود ، طويل الشعر مثلهم ،
وان تخلصى عن الزى الهندى التقليدى ليحشر نفسه - دون
مبرر - داخل قميص وينطلون، مثله فى ذلك مثل ملايين من .
دول العالم الثالث ، تخلت عن ازيائها المريحة الاصلية
لتقلد ازياء نساء ورجال عالم غربى ، تقتلنا صيفا، وتجففنا
يشتاء . . . وتترك رؤوسنا باسم - الموضة - عزلاء بلهاء
فى مواجهة انفجارات الشمس والمطر ! وقد تعرفت عليه
صدفة ، فى مقهى بحى الهنود الذى يقع ضمن دائرة الفقر
فى سنغافورة ، ولأنه يعمل كسائق لسيارة أجرة ، فقد
توطدت صلتى به على امتداد مساحة زمنية تقارب الأسبوع
ومن ثم راح يطوف بى معالم (سنغافورة) . . . حتى
غادرتها .

— « راجا » •

— نعم •

— حدثنى عن هذه المدينة

— لابس ١٠ هنا

وانطلق (راجا) بسيارته السوداء وظهرها الأصفر
— لون سيارات الاجرة — بسرعة معتدلة ، مراعى كل
اشارات المرور ، ولم استغرب ذلك من هندى ، لاننى كم
عانيت من بطء سائقى السيارات الهندية فى الدوحة ، وان
كنت حتى الآن لا ادرى اراجع السبب الى « معجزة »
امتلاك فقير لسيارة ، ام لضعف مستوى الاداء ، ام
لقصور فى النظر ، ام ترى ذلك عائد الى طبيعة انسانية
خاصة ؟ ! وضحكك فتنبه « راجا » فسورا وقال وعيناه
ترصدان الطريق •

— يبدو انك سعيد

— نعم، وهى حالة تصيبنى كلما قدرت سيارتك يا راجا،

— اذن لن اتركك لحظة •

— يسعدنى ذلك اكثر •

وضحك ، وبالبطبع لم اقل لصديقى (راجا) ، كل
ما فى الامر انه خطر لى فجأة ان سبب بطء السائق الهندى

ربما يعود الى تصويره أنه يعبر شارعا مكتظا .. بالبقر
المقدس ، لا بالبشر التعساء .

وظلت الفكرة الغربية عالقة بذهنى ، مثيرة بهجتى ،
وأیضا لهفتى لمعرفة حقيقة الديانة الهندوسية . وعندما
جلست مع (راجا) وجها لوجه فى مقصف صغير لبيع
المرطبات سألت :

بـ « راجا » ..

ـ نعم .

ـ لم تحدثنى عن سنغافورة بعد ..

ـ سأحدثك .. وسأخبرك بما تريد ..

ـ أشكرك ، ولكن الآن وبلا حساسية أرجو ان تحدثنى
عن شيء آخر . تنبه (راجا) وان كان يتابع من طرف خفى
فتيات سنغافورة الجميلات ، عبر زجاج واجهة المحل ،
وهو أمر استمر حتى بعد ان وضع عامل المحل صحنين
من الأناناس امامنا على المائدة .

قلت :

ـ « راجا » .

ـ اوه .

والتفت نحوى فى اعتذار مهذب وقال :

• اسأل -

• حدثنى عن الهندوسية .

التقط بالشوكة قطعة من الاناناس وابتلعها ، ومضى يرتشف عصارتها فى تلهذذ واضح ثم قال :

• « الهندوسية هى ام الديانات الهندية ، ولها تعاليم فلسفية تدعوا الى التأمل والخير وعدم الايذاء » .

• « عدم الايذاء ! ؟ »

هذا هو السر اذن ، خاطبت نفسى وابتسمت ، ثم تناولت قطعة من الاناناس ظلت معلقة فى الهواء .. لأن (راجا) قد واصل الحديث :

• « وقد تفرعت الهندوسية مذاهب شتى ، خرفت مافيهما من فضيلة » .

• • لماذا ؟

سالت (راجا) ، وابتلعت قطعة من الاناناس أملا الاستمتاع برحيقها العذب ولكننى صدمت ، لأنها لم تكن حلوة ، بل كانت قطعة من الملح المركز ، وصدمت اكثر عندما قال (راجا) :

• « وعند ذلك اعتمدت الهندوسية على عبادة البقر والشجر والاوثنان والثعابين والقردة » .

وقفزت كالقرد الى دورة المياه .. مفرغا كل مايجوفى
وعدت محمر العينين كالغريق .. فحجبنى (راجا) فى
دهشة .

— ماذا بك ؟

— تسممت .. وساقدم شكوى ..

وضحك (راجا) .. وافهمنى ان العادة هنا : هى
تقديم الاناناس وفوقه كمية لاباس بها من الملح .

— هذا تخريف .. يشبه التخريف الذى لحق
بالبندوسية .

— وما الصحيح ؟

— ان تأكل البقرة بدلا من عبادتها . وان يوضع
السكر فوق الاناناس .. لا الملح .

ضحك (راجا) بشدة .. فأهتز شعره الأسود الطويل
ولعت أسنانه البيضاء تماما كقميصه ، ثم تقوس ضاحكاً
حتى غاب رأسه بين كفيه بجوار صحن الاناناس . اما أنا
فقد تقوست لا من الضحك ولكن من الألم الذى سرعان
ما تبدد و (راجا) يقول :

— معك حق .. لذا فأنا من « الشيخ »

— « شيخ » فى عينيك وعين صاحب المحل .

قلت ذلك بالعربية فسألنى (راجا) :

— ماذا تعنى ؟

— كنت أتكلم عن « الشيخ » .

— أه .. « الشيخ » ديانة من ديانات الهندو فى البنجاب ، وكلمة سيخ تعنى (المتكلم) والمتكلم هو مؤسسها فى القرن الخامس عشر . ويدعو فى مذهبه الى صفاء الديانة الهندوسية الأصيلة ، وتوحيد الطوائف ونبذ مالحق بالهندوسية من بدع «

— وماذا يدعى المتكلم فى لغتكم الهندية ؟

— « البابانانك » .

— اذن فانت مؤمن من « الشيخ » ؟

— نعم .

— وانا مؤمن بالسكر ..

وضحكنا .. ونحن نمضى الى الميناء . لاشيء اسمه « الأفق » فى سنغافورة العاصمة .

فناطحات السحاب ترتفع فى عمله مذهلة ، كسد من الحديد والأسمنت ، حاجبه عنك جمال الطبيعة وجلالها ، واينما توجهت فان هذه « الأشجار » الحضارية الخرافية تصطك بناظريك وبوعيك أيضا ، مؤكدة لك ان سنغافورة

جزء من آسيا « على الاطلس » فقط . ولكنها تابعة لمسيرة
وحضارة الاطلسى عملا وجهدا وتطلعا .

— هل هذا غريب ؟

— نعم

— انن تذكر دائما أننا فى سنغافورة نتناول الاناناس
والمليح معا .

هذا ماقاله (راجا) لى وأنا احدث فى « الأسد » المطل
على مياه المحيط الهندى ومياه بحر جنوب الصين معا .
ثم اضاف :

ولا تنسى أيضا انه ما بين (أربعة) أسماء يتوزع
تاريخ سنغافورة .

— مدينة الأسد (

— أهذا هو الاسم الأول يا (راجا) ؟

— نعم . . . ولهذا حكاية . . فانظر حولك تعرف كل
شئ . .

ونظرت . سفن عملاقة ، تحمل اعلام مختلف الدول
وعمال يهدرون بمختلف اللغسات ، والاف الأطنان من
البضائع ، تتركز على حافة الرصيف فى قلق تنتظر
مسيرها ، ما بين أكبر عملية تصدير واستيراد تتم فى

الميناء الذى يعد رابع اكبر ميناء فى العالم والأول فى
آسيا .

اكتظاظ انتاجى واستهلاكى ، نعم ، ولكن كل شىء
يتم بدقة ونظام أوربى الطابع ، وفى هدوء وصبر له مذاق
آسيوى ، ولكن الفرق فى الروح الجوهريّة يشبه الفرق
الهائل بين (الذرة) كطعام ونبات وبين (الذرة) كطاقة
رهيبية ، وبناء على هذه المعادلة فان سنغافورة تدخل عالم
الذرة الطبيعى جغرافيا .

— كيف ؟

سألت (راجا) فقال :

— لقد اكتشفت سنغافورة عام ١٨١٩

— ومن اكتشفها ؟

— (سيرتوماس ستامفورد رفلز)

— اذن كانت مستعمرة بريطانية ؟

— حتى عام ١٩٥٩ .

— « راجا » .

— نعم .

— مامساحة سنغافورة ؟

١٤٥

(م ١٠ - جيوكندا من الشرق)

— المدينة أم الدولة ؟

— ما الفرق ؟

— فرق كبير ، فمدينة سنغافورة التى تأسست عام ١٨٣٦ لا تزيد مساحتها عن ٢٢٦ ميلا مربعا ويبلغ طولها ١٧ ميلا ، اما عرضها فلا يزيد عن ١٤ ميلا .

— وماذا عن سنغافورة الدولة ؟

— هى اكبر من ذلك ، لأنها تضم ٥٦ جزيرة اخرى ، وتشمل جزر كوكس وكريستماس ٠٠ لتبلغ مساحتها فى النهاية مجتمعة حوالى ٦١٦ كيلو مترا مربعا .

مسحت عرقا تصبب من جبهتى و (راجا) يشير الى البحر قائلا :

— نحن لانبعد عن شمال خط الاستواء الا بحوالى ١٣٧ كيلو مترا .

تعالت اصوات البواخر مذكرة اياى بخوار الابقار فضحكى وقلت لصديقى (راجا) وأنا اُشير الى بواخر تغادر الميناء :

— اصواتها مزعجة .

— ومفرحة أيضا ، فلولاء الملاحة والسياحة لما كانت سنغافورة ٠٠ وهنا القلب ياسيدى . هنا يتم تكرير البترول

وتصدير المطاط وجوز الهند ، اضافة الى اعادة تجميع
وتصدير الاف المصنوعات •

ومن هنا ومن المطار يتدفق على الجزيرة مليون سائح
سنويا •

— ومعظمهم من ؟

— من دول الكومنولث البريطانى •• فنحن عضو به
منذ عام ١٩٦٢ •

— (جمهور) سلطان ابله !

— لماذا يا (راجا) •

— لانه باع سنغافورة كلها •• اتدرى بكم ؟

— بكم ؟

— بخمسة الاف جنيه فقط لاغير !

— ومن اشتراها ؟

— ضابط يهودى اسمه (رامكس) وقد تنازل عنها
فيما بعد لملكة التاج البريطانى !

وتذكرت وأنا أقترّب من الجسر الذى يربط مابين
جزيرة سنغافورة واتحاد ماليزيا حكاية مشابهة تذكرت
مافعله احد القياصرة حين باع ولاية (الاسكا) للولايات

المتحدة الامريكية بمبلغ ثلاثة ملايين دولار ٠٠ فقط
لاغير ا

فبصقت على جوهور ٠ وعلى القيصر وعلى المقلدين
الجدد - فى سوق السياسة - الذين يحاولون بيع بلادى
(فلسطين) بحفنة ضخمة من القمح والدولارات ، متسترين
بهوانهم وضعفهم تحت خيمة اسمها ٠٠ السلام ٠

« شونان » هكذا سماها اليابانيون ٠

اسم جميل لجزيرة سنغافورة ، يعنى بالعربية « ضوء
الجنوب » ولكنه اسم يحمل ذكرى الدمار والاحتلال وحرب
طاحنة دارت رحاها هنا ، ما بين عامى ١٨٤٢ ، و ١٩٤٦ ٠

وفى متحف الشمع بالجزيرة ، اقيم معرض يجسد
تنازل القادة اليابانيين عام ١٩٤٦ بعد هزيمتهم فى الحرب
العالمية الثانية عن الجزيرة وتوقيعهم على وثيقة هامة
بهذا الشأن لصالح الامريكيين والحلفاء ٠ ليستولى
عليها البريطانيون مجددا ٠ شاهدت ذلك ، كما شاهدت
سائحة امريكية فى خريف العمر راحت تتبادل مع شاب
اسيوى القبل على مقعد حجرى قرب المتحف فتساءلت :

- « من منهما يضحك الدفء والحياة والانتعاش فى
جسد الآخر ؟ » ٠

ولكن ، أين (راجا) ؟

فى المعبد الصينى وجدته قد هشت • اذ كان مستغرقا
فى صلاة من نوع آخر • كان يتبتل ويتغزل فى جمال فتاة
التقطها هناك • ويبدو ان خلو ساحة المعبد من الزوار
والمصلين قد اتاحت له فى ظلال المغيب فرصة رومانسية
مناسبة • فاستغلها • ولم اشأ الاقتراب ولكنه نادانى
بصوته القوى • فاقتربت ومع التحية والحديث والنظرات
ادركت ان لعبة ما قد بدأت فتذكرت (شار) الذى تركته
فى « بانكوك » غاضبا • لكن (راجا) كان انسانا
مختلفا • اذ قال :

— « سانى » • صديقتى •

— رائع • انها حلوة ••

— وتحبنى كثيرا •

ولم تحمر خدود « سانى » من الاطراء بل ابتسمت فى
ثقة وقالت :

انا « وراجا » سنتزوج عما قريب •

— اأنت هندية ؟

— لا من سيلان :

وسالت « راجا » :

— اى اجناس توجد هنا يا « راجا » ؟

فقال وهو يقدم وردة لـ « سانى » :

– صينيون وهنود وباكستانيون اضافة الى مواطنين
من الملايو .

– ايهم أكثر عددا ؟

– ٧٦٪ من السكان هنا (عددهم ٢٥ مليون نسمة)
صينيون ، و ١٥٪ من الملايو ، والباقي وهم ٩٪ فانهم
هنود وباكستانيون ومن سيلان وجزء أخرى من العالم .

– الا يوجد يهود هنا ؟

– نسبة قليلة جدا لكنها مؤثرة جدا فى سوق الاعمال
والتهريب والارهاب .

– هذا مؤكد . فهذا شأنهم دائما .

– طبعا فلهم سفارة هنا ايضا .

– « راجا » .

– نعم .

– بعد مدينة الأسد « وجوهور » وشونان ما الاسم
الرابع الذى ساهم فى صنع جزء من تاريخ سنغافورة ؟

– الاتحاد .

– اى اتحاد تعنى ؟

— اتحاد ماليزيا •

— الم تبع الملايو سنغافورة بخمسة الاف جنيه فقط
لاغير ؟ !

— باعها « جهور » ذلك السلطان الابله ، اما الملايو
فانها الأم التي لن تتخلى عن رعاية فلذة كبدها •
— كيف ؟

— صحيح ان سنغافورة منذ عام ١٩١٨ قد استولت
عليها شركة الهند الشرقية ، وصحيح انها وقعت فى يد
اليابان خلال الفترة ما بين ٤٢ - ١٩٤٦ ، لكنها عادت الى
الملايو خلال عام ١٩٦٣ عندما انضمت الى الملايو لتكون
مع « سرواك » و « صباح » • اتحاد ماليزيا •

— ولكن سنغافورة جمهورية مستقلة الآن • ليس
كذلك ؟ !

— نعم ، فقد انسحبت من الاتحاد عام ١٩٦٥ ولم
تعد اليه حتى الآن •

— ابن ضال !

— انها لعنة الأناثاس والملح • هنا •

— بل قل التمزق بين « شونان » و « الأسد » •

— صدقت • ولكن •

- ولكن ماذا ؟
- أين ستسهر هذه الليلة ؟
- ماذا تقترح ؟
- « بوجيس ستريت » مدهش وغريب •
- وماذا أيضا ؟
- « تشاينا تاون » منطقة حافلة بالعجائب •
- واخيرا ؟
- وما أكثر مايمكن مشاهدته فى سنغافورة ، فقط قل
لى ماتريد •
- أريد العودة الى « اكواتوريال هوتيل » •• كى
استعد •

* * *

الحلقة المباشرة

جسد أنثى وصوت رجل

في الليلة الظلماء يفتقد البدر ، وكان « راجا » بدري وعينى وخريطتى عبر شوارع سنغافورة ٠٠ لكننى افتقدته ولأمر ما لم أعرفه حتى الآن ٠٠ ضاع منى ٠

ضاع « راجا » ، ومازلت أمل ان يكون سبب ضياعه وفقدانى اياه ٠٠ خيرا ، رغم احساسى المبهم بأن ضياع (راجا) ربما يكون عائدا الى امرين :

اولهما اما ان « راجا » قد تزوج ، فضاع !!

وثانيهما ربما يكون عائدا الى طريقته البطيئة جدا والقاتلة ٠٠ فى قيادة سيارته ٠٠ وهو أمر قديكون سببا فى مقتله ، تماما كذلك الانسان - أى انسان - الذى يصير على الالتزام بقاعدة تقول : « فى العجلة الندامة » حتى عندما يواجه أسدا ، فلا يقر بجلده ولا يتحول الى صاروخ

عابر للقارات ٠٠ طلبا للنجاة ، وانما يتمسك بالقاعدة
 فيمسك به الاسد ٠٠ مستثنيا اياه من دنيا الاحياء ٠٠
 ضاع « راجاء اذن ٠٠ فوداعا ٠٠ ولأبدا ، الآن ، وحيدا ،
 ولأجوب هذا العالم المسمى « سنغافورة » ولتكن دليلي
 الدهشة والفضول ٠٠ والجرأة ٠ هكذا حدثت نفسى وأنا
 انطلق - بعد طول انتظار - نهارا ، ضمن رحلة يشرف
 الفندق على ترتيبها ، وليس فى حوزتى غير آلة التصوير
 وثلاثين دولارا سنغافوريا (الدولار الامريكى = ٢٥
 دولار سنغافوريا تقريبا) اضافة الى تموينى من التبغ !!
 وقال الدليل :

- انتم الآن فوق تل القصدير او Bukit tima وهو
 اعلى تل فى الجزيرة ، اذ ان ارتفاعه يبلغ ١٦٦ مترا ٠

قال الدليل الشاب ذلك ، ومضى صاعدا فوق التل ٠
 ومضيئا ٠٠ سائحون وسائحات ٠٠ (كنت انا اصغرهم
 سنا ٠٠ وربما افقرهم) نلثت خلفه ٠٠ مبهورين ٠

لماذا ؟

لأننا من هذا الموقع المدهش ، شعرنا لفترة بأننا اعلى
 من ناطحات السحاب ، التى ترقد أسفل التل فى جلال
 هندسى لايشوه سحر الطبيعة وانما يكملها ٠ ورحت املا
 رتتى بهواء البر والبحر معا فى جوع صحراوي طسال
 امده ، وحمدت الله ان الدليل اقترب منى منبها ان اطفى

سيجارتى فى اقرب مكان مخصص لذلك ٠ لأن الغرامة ستكون فادحة ٠ وهى هنا ٥٠٠ دولار بالتمام والكمال ٠٠ فقط لاغير ، وبالمطبع ، تنفست بنقاء ، وان تصرفت بغباء حين اقتنصت فرصة انشغال الناس من حولى ورحت اقطف الزهور فما كان من الدليل الذى باعتنى الا ان نهنى مع نظرة شذراء قائلا :

« التدخين ممنوع »

« وقطع الزهور أيضا ممنوع »

ولما كنت لا اخلق الاضواء الحمراء وكل اللافتات التى تحمل قيда تكبل به حرية الانسان تحت شعار ممنوع ، فقد انتهزت اول فرصة وحشوت ثلاثة لفافات تبغ بعيدان الكبريت ، وماكاد الدليل يجلس على مائدة فوق التل تاركا السائحات والسياح الكهول يمرحون ٠٠ حتى جلست بجواره وقدمت اليه علبة سجائرى ٠٠ تناول واحدة ٠٠ وتردد فى اشغالها ، فانتابنى القلق لكنه سرعان ما شعلها فاشتعلت فى وجهه ٠٠ الذى تجمد برهة ٠٠ ثم انشق عن ضحكة مدوية !!

و ٠٠ وصرنا أصدقاء ٠٠ !! ؟

— ما اسمك ؟

سالت الدليل الذى اعجبته اللعبة المفاجئة فقال :

- محمد كريم الله
- اذن انت مسلم ؟
- وكذلك امى ..
ثم اردف :
- وهى من القاهرة
- من القاهرة ؟ !!
- نعم .. واسمها « تحية .. »
- وهل علمتك العربية ؟
سألت .. فقامت على وجهه سحابة حزن حقيقية ،
واحسست ان هذا الدليل الشاب الذى لايتجاوز الثانية
والعشرين قد كبر فجأة عشر سنوات يا الهى ماهذا
الحزن الضارى ؟
خاطبت نفسى .. فخاطبنى :
- لاضرورة هنا للغة العربية ، فالصينية والانجليزية
واللغة الملايوية هنا .. ثلاث لغات اساسية .
ثم اردف :
- لقد ماتت ..
- متى ؟

ـ بالأمس •

ـ رحمها الله •• واسكنها فسيح جناته ••

بكى الدليل وهو يتمتم بكلمات متقطعة :

ـ لادين فى سنغافورة •• فأمواتنا المسلمون يدفنون
هنا • دون ترتيل للقرآن •• دون عزاء •• دون صلاة ••
كم كان بودى لو استطعت دفنها فى القاهرة •• لكننى
فقير •

اقصى طول للجزيرة لا يتجاوز ١٧ ميلا لذا فان نهر
Sangi seletar الذى لايتجاوز طوله ١٢ كيلو مترا
•• يعد اطول نهر فى الجزيرة ، واكبر قناة مائية فى
الهضبة الوسطى التى تبلغ مساحتها (٣٣) كيلو مترا
مربعا •

هذا النهر طويل ، لكن جارتى النيوزيلندية اطول ••
منى ، وهى بساقيها المثلثتين نمشا وشعرا - رغم بياضهما
ـ قد عقدتنى • كانت تحدثنى عن بلادها وعن زوجها
الذى تركته يقطع الأخشاب فى مصنع للنجارة فى «ولنجبتون»
وعن فستانها السماوى - الشفاف جدا - الذى ابتاعته
من هونج كونج •• وأنا اتابع حديثها وأجرى •• بينما
كانت هى - تلك الزرافة - تمشى الهوينى بمقياسها هى

أما بمقياسى فقد كانت كل خطوة منها تعادل أربع خطوات
من خطوات العبد الله !!

ويا ليت زوجها ٠٠ قطع بعضا من ساقها ٠٠

وسر قلبى ، رغم التعب ، ونحن نرقى شوارع التل
٠٠ التى شقت بين ثنايا الغابة الحانية الزهرة حين توقفت
٠٠ وتعادلنا ٠ وكى التقط أنفاسى خلعت من رقبتى
طوق آلة التصوير ورجوتها أن تلتقط لى صورة ففعلت ومن
ثم رحت أدور حولها وهى ثابتة ٠٠ كى التقط لها صورة
٠٠ وفى الحقيقة كنت أتمنى أن اتحط فوق الأعشاب ٠٠
لكن الموقف لايسمح بذلك ٠٠

عاد محمد كريم الى السيارة ٠٠ فعدنا ٠٠

جلس بجوارى فقلت :

— لم اخترت مهنة الدليل ؟

— لأنها مجزية ٠٠

— لم تتعلم العربية ، فكيف تعلمت الانجليزية ؟ !

— التعليم هنا مجانى طوال المرحلة الابتدائية (ست

سنوات) ثم أن اللغة الانجليزية لغة أساسية كما قلت لك .

ومنا ، للعلم ، توجد جامعتان ، ومعهدان

للتكنولوجيا .

– ماوضع الجندي هنا ؟

ضحك وهو يقول :

– الجندي مهنة لا أحبها • ومن ثم استترحت من
رؤية (٢٠) ألف جندي •• ومن ممارسة حياتهم
القاسية •

– قاسية ؟

– نعم فالظواهرات هنا تستدعي أحيانا تدخل الجنود ،
ثم لا تنس أن مقاومة تهريب المخدرات والسلع تشغل
جيشا بأكمله !!

– التهريب •• هو الوباء الوحيد هنا ؟

– والجاسوسية أيضا •• و ••

– وماذا أيضا ؟

– دعك من هذا •• هل ترغب في المشي فوق الصراط
المستقيم ؟

– ليس لي خيار •• وهو مصيرنا جميعا ••

ضحك وقال :

– ما اعنيه •• هل تحب أن تجرب ركوب التليفريك ؟
وافقت ، وركبت ، وليتنى ماحاولت ذلك !!

ركبت العلبة الجهنمية ، بعد ان قطعت التذكرة
فتقطعت انفاسى وأنا معلق بين السماء والأرض • صحيح
ان منظر الميناء كان مدهشا ، وصحيح ايضا •• ان الجزر
والبواخر والغابة تفتح لكنوزها امام ناظريك ، ولكن السذى
لاشك فيه ان كل عوالم الرعب قد انفتحت امام ناظرى حين
انقطع التيار الكهربائى عن العربىة التى تجمدت فيها .
وتسمرت قارئاً فى لمح البصر كل ما حفظته من آيات القرآن
والانجيل !! فالروح غالية ، والموت معلقا - على ارتفاع
١٠٠٠ متر - فى الفضاء دون عزاء أو دمة من صديق
شئ يجعل الأمر فوق حدود الاحتمال • ولكن الحبال
اهتزت فجأة ودبت الروح فى العربىة اللعينة وفى أوصالى
•• ووصلت الى نهاية •• الخط ، هاربا من خطأ فنى كاد
يقضى على ، وتذكرت فجأة اننى لم أكن وحدى بالعربىة ،
وان هناك شابا يونانيا برفقة فتاتين من سنغافورة ••
كانوا معى •• يواجهون نفس الموقف وحينما اشترقت
وجوههم - على الأرض - أمامى ، فرحت ، ولبيت دعوتهم
ورافقتهم الى مركز للفنون للاستمتاع برؤية استعراض فنى
يقام عصرا •• هناك •

داخل المركز ، وهو ناد متسع ، نصبت خيمة هائلة ،
فوق المسرح المعد للعرض •• ورحت أبحث عن لكرسى ،
فلم أجد ، ومن ثم فضلت الوقوف كى أرى •

وتوالت فقرات البرنامج وكلها عادية وان كانت تعطيك
فكرة جديدة عن الموسيقى هنا •

فالطبول كبيرة والابواق النحاسية قصيرة وصغيرة
وتشبه تماما أبواق الحواة من الهنود • وبالفعل كانت
هناك فقرة يقوم خلالها الحاوى بالعزف أما الراقصة
فكانت •• ثعبانا من الوزن الرهيب • وتذكرت ماجرى لى
فى حديقة الثعابين ببانكوك •• فحمدت الله •• اننى بعيد
عن الحاوى وعن ثعبانه الذى اخذ السائحون يحنون
رقابهم كى يطوقهم الحاوى بفضل ثعبانه •• فى ظل عدسات
التصوير •• التى تومض مسجلة لحظة نادرة •• وتجربة
جديدة !!

ولما كنت لا اطبق الرطوبة وعسف الحرارة فقد توجهت
الى بائعة للمراوح الصينية واشترت مروحيتين بدولارين
فقط وظلتا معى فى الحفظ والصون ، حتى وصلت الى
« الدوحة » وهناك كان المصير على يد اطفالى الذين
عاثوا فيهما فسادا وتمزيقا • ولم يدر بخلداهم اننى قد
قطعت آلاف الأميال ، كى احضر هاتين المروحيتين مع أشياء
أخرى •• كلها لاقت نفس المصير !!

« انت الآن فى قلب الليل » هكذا قال لى الدليل محمد
كريم الله بعد ان جلس فى مواجهتى على مائة فى ركن من
أركان « بوجيس » اشهر شارع فى سنغافورة •

— ما هذا !! ؟

— سألت وأنا أرقب أفواج السياح وقد توزعوا
وتكثفوا نساء ورجالا فى مجال الشوارع الغريب .

— هذا « بوجيس ستريت » .. اجابنى وعيناه
تتفحصان لفافة التبغ التى قدمتها اليه .

— اطمئن .. انها ليست محشوة بالديناميت .

قلت ذلك فضحك ، وقال :

— لا بأس .. لكنك سترى الآن ديناميت اغراء لم
تشهده أبدا من قبل !!

— هل سيجرى عرى « ستريتيز » ؟!

— لا .. لا .. ولكنك سترى أجمل فتيات فى
سنغافورة ونظرت الى ساعتى — انها الواحدة صباحا ،
وأفواج السياح مازالت تتدفق حتى لم يعد موضع لقدم
وبائعو البصور العارية ينتقلون كفراش غريب حول نيران
أضواء اغرب .

وتدفقت قافلة أخرى ..

انها مكونه من نساء يتزين بأقصر ملابس عرفتها عين
عربى . وبافقع باروكات صنعت خصيصا فى لون قوس
قزح ..

... محمد ..

— نعم ..

— اهذا شارع الجمال ؟

— نعم ولكنه جمال منكر !!

— منكر ؟ !

— نعم ، فكل هؤلاء الفاتنات .. ما هن فى الحقيقة الا
.. رجال ..

— رجال ؟ .. لاتسخر منى أرجوك ..

— ورحمة امى « تحية » !!

قال ذلك وهب واقفا وغمز بعينه لواحدة (لواحد)
فأنت .. وجلست .. وقالت :

— الجلسة بعشرة دولارات ..

فقلت :

— ما اسمك ؟

— ليندا !!

قالت ليندا ، بصوت لم يستطع رغم كل العرى الفاضح
ورغم تمرد الثديين النافرين .. ان يخفى حقيقة الأصل

الرجالى وشعرت بان المخلوق المسمى (ليندا) امامى ..
له حسد انثى وصوت (شنب) فتى *

— هل أنت سيدة ؟ !

تحسس المخلوق « ليندا » صدره العامر وقال :

— ما رأيك ؟ !

ثم اردف وهو يضع ساقا على ساق كأعتى عامرة
فى ماخور :

— ولدت طفلا ، ولكن فى العاشرة من عمرى ، شعرت
بأننى من عالم آخر غير عالم الرجال . وعندما كبرت .. كبر
الثدين .. والردفين .. و .. لم يكبر الشيء الآخر ..
لقد انقرض .

— هل تستطعين الحمل ؟

— لا .. فليس لى رحم انثى ، رغم اننى أجريت
عملية لاتحول الى سيدة كاملة كلفتنى عشرة الاف
دولار !!

— هل تسمحين لى بان اتحسس حنجرتك ؟

ومض شيء فى وجهها .. كالغضب ، لكنها تداركت
(تدارك) وقالت فى لهجة ماجنة :

— العمق أفضل !!

وانصرفت واعتقب محمد كريم الله ذلك بقوله :

لقد فضحتنا .. لان الفرق ايها الخبيث بين الذكر
والانثى هو « جوزة ادم » وقلت في نفسي :

– « كانت جوزتها » نافرة » واخبرني الدليل ان
مسابقات للمكات الجمال تقام هنا وان نوادي واماكن
خاصة تتوفر لهن (لهم) بشكل كبير وان الشرطة لا تتدخل
في نشاط هذه الاماكن التي يرتادونها برفقة الزبائن ..
من عرب .. وغرب وشرق !! وقطع حديثنا صوت عربى
مجلجل .

– « اخوك يا الحمر .. »

فقال محمد كريم الله :

– امثال هذا العربى .. من افضل الزبائن هنا ..
ولى بريطانيا .

– مارايك في جولة في « تشاينا تاون » ؟

– لامانع .. ولكن الوقت متأخر .

– لاتخف فعربيات الـ (تريشاو) متوافرة هنا
بكثرة .

– هيا ..

وظننت اننى ساستقل عربة اثرية او حنطورا ولكننى

فوجئت برجل يلبي نداء محمد يقترب منا ، ثم آخر ..
ومعهما هذه التريشاو « وهى عبارة عن دراجة عادية
ملحق بها صندوق ذو عجلتين .. يركب فيه السائق
ويمضى به السائق .. الانسان ، بدلا من الحيوان .

— اركب ..

وركبت واستقل محمد عربة اخرى ومضينا مع آخرين
نطوف ارجاء « تشاينا .. تاون » .. حيث يتركز الوجود
الصينى الفقير فى سنغافورة وحيث توجد كل الاشياء ..
ابتداء من الأحذية وانتهاء .. بالمخدرات ولفت انتباهى
أسماء المحلات وهى صينية عادية ، ولكن عندما نترجمها
الى العربية مقروءة بالانجليزية فان الضحك والدهشة
يصيبانك فوراً .

فبعض المحلات تحمل أسماء مثل : « هوانج يو » ،
واخرى اسمها : « وى لاي » وثالثة « يوكل مى » ورابعة
« دون كى كنج مى » !!

عند مطعم صينى توقفت (التريشاو) كما طلبت ومع
نسائم الفجر الباردة رحت انا و« محمد كريم الله نتناول
طعام الافطار (كان عشائى) المكون من زعانف السمك
وجذور الاعشاب وكوكتيل من الخضروات . ثم طلبت لى
.. ولصديقى محمد .. صحنين من الأناناس ..

ومضيت التهم قذلع واحد منها ، وسط دهشة البائع
الذى افهمته (عن طريق محمد) ان يترك الملح جانبا .
وكدت اشعر للحظات ان البائع يخالنى قادما من كوكب
آخر ، والا فكيف يتناول انسان الاناناس دون ملح ؟ !!



عدت بهذه الوسيلة المسماة « تريشاو » الى الفندق .
وكل املى ان يجرى يوم تتخلص فيه سنغافورة نهائيا من
هذه الوصمة المسماة « تريشاو » ، لأنها بأصرارها على
بقاء انسان فيها ، يقوم بدور الحصان الذى يجز العربة ،
وفى القرن العشرين . . تؤكد ان ناطحات السحاب فيها
مجرد قرون من شمع ، وان نظافتها الاوروبية الطابع ،
مجرد ورقة توت ، لا تستر قذارة نظام لا يريد ان ينهى مأساة
تحول الانسان . . الى حصان ، تحت ضغط الفقر والحاجة
الى رخيص العيش وقرص الدواء .

فى اليوم التالى . . قابلنى محمد كريم الله . .

وسألنى :

— ما رايك فى سنغافورة ؟

— جمهورية تتمزق بين الملح والاناناس .

ثم اصبقت :

– انها كمخلوقات « بوجيس ستريت » تائهة بين
عالمين •

فقال :

– صدقت •• والخلص هناك •• فى العودة الى
اتحاد ماليزيا •

ثم اريدف :

– الا تود زيارة « جوهرى باهرو » •• انها تستحق
المشاهدة ••

– لا بأس ••

وابتدأت رحلتى الى هناك ••• الى ماليزيا •

الحلقة الأخيرة

سلطان . . بلا نساء

على أرض دولتين وقفت في آن واحد .
الخطوة الاولى كانت في سنغافورة ، أما الثانية
فكانت في ماليزيا (١٨) ١١

ورغم ان المسافة لا تتعدى مترا ، تمر من منتصف
شعرة الحدود بين الدولتين ، الا ان الفارق الحضارى
ضخم ومثير . وهو فارق يؤكد هروب سنغافورة من
اتحاد ماليزيا عام ١٩٦٥ .

وحين سألت قيل لى : ان الوضع يشبه الى حد ما
الوضع الذى كان . . فى الهند وباكستان ، قبل ان تنشط
الى اقليمين سياسيين ، ليضم كل منهما اغلبية دينية
معينة .

ليكن . . فنحن نعيش عالما متناقضا ، يكره التمييز

ويمارسه ، ويلعن الفقر ويخلقه . ويندد بالرديلة ووحولها
تحت أنفه ، ويتعلم في عبوره الفضاء ، الى الكواكب
القريبة والبعيدة، لكنه في نفس الوقت ينحط الى الحضيض
وهو يحاول اجهاض رغبة شعب .. كالشعب الفلسطيني
في عبور مأساته بالتححرر والاستقلال .

نعم ، ليكن .. خاطبت نفسي .. وأنا ارى الى الجسر
الممتد ما بين سنغافورة واتحاد ماليزيا ، وهو جسر لايزيد
طوله عن ١٠٥٦ مترا ، وتمر من فوقه طريق برىء ،
وأخر للسكك الحديدية ، اضافة الى عدد من الانابيب
الضخمة التى تنقل المياه (لا النفط) الى سنغافورة ..
لسد حاجتها الى ماء الشرب ، رغم وجود محطات لتكرير
مياه المحيط هنا ..

ولفت انتباهى الفرق بين العالمين هنا . المتجسد في زى
رجال الحدود ، فالسنغافورى أنيق وناعم ، اما ذاك ..
الماليزى فهو أجرب الملابس، أشعث الشعر وحتى السيارات
كانت تحمل نفس السمة .

لكن الانتظار هنا لا يطول ، كما هو الحال في أى مركز
حدودى عربى ، فنظرة واحدة الى جواز السفر .. يتبعها
ختم .. ثم توكل على الله .. وأهلا بكم فى الاتحاد .



عبرت السيارة الضخمة المكيفة ، بنا ، الحدود ، الى

اقليم « جاهور » ، أو «جوهور باهرو» وهما اسمان لشئ واحد .

وقال دليل الرحلة :

« جاهور » هو أحد اقاليم اتحاد ماليزيا الذى يتكون من ١٣ اقليما (١١ منها فى الملايو ، أما الآخران فهما (ساراواك) و (صباح) .

وتبلغ مساحة الاتحاد حوالى ١٢٨ الف ميل مربع ، يقطنها نحو ١١ مليون نسمة .

سمعت ذلك ، وأنا أرقب شوارع الاقليم ، والاشجار والبشر ، ثم طفت بنظرى فوق مياه المحيط التى راحت تتموج تحت اشعة شمس ذات نكهة وسحر لاتعرفها الا البحار الجنوبية . حيث المساء كالحلم ، والصبح ملون بأطياف الشفق المتوهج عبر غلالات من الغيوم والرمادية بدرجات متفاوتة .

واهتزت السيارة ، فقفزت الى ذهنى حفريات الشوارع فى الدوحة والكويت والقاهرة ، ونظرت . . عبر النافذة الى الشارع . . فكان العمال يحفرون .

ومع هزة اخرى تاوت جارتى الحسناء ، التى لم ادرك سر حزنها الغامض الجليل الذى يهوم فوق محياها البريء . . فالتفت نحوها قائلاً :

— ما الذى أزعج سيدتى ؟

هزت رأسها فتهدل شعرها الذهبى ثم استكان كما
استكانت وهى تجيب فى شجى :

— لا شىء ...

ثم سوت فستانها الطويل ، وأمسكت بآلة تصوير ،
على نحو أشعرنى بأنها تحاول الإمساك بطيف ذكرى ..

جولة السيارة مستمرة • والصبح مشرق وندى ،
وعيون الاطفال ترقبنا فى دهشة خفيفة ، ربما لأنها قد
تعودت على رؤية سياح من كل فج ولون • أما النساء فقد
مضين فى أعمالهن دون ان يعرنا التفاتا خاصا • وهن
عموما ، زيا وجمالا ، لا يختلفن فى شىء عن بنات حواء
فى سنغافورة أو تاييلاند • وان كن يملن الى الطول
أكثر • ورغم بحثى عن شىء ملفت للنظر ، الا اننى لم
اكتشف شيئا ، اللهم الا ان من يرتدين البنطلونات ، أو
الزى الاوروبى الحديث كن قليلات • البيوت • • تكاى بيوت
حديثه ، لكنها هنا كالحة البياض ، كما أن نوافذها تشبه
نوافذ البيوت الخشبية فى القاهرة • مع نفس الاهمال فى
طلائها • • أو تجديده من حين لآخر ، بعكس ماتجده مثلا
فى البيوت البيضاء ، التى تطل عليك كاسراب الحمام من
بين الخمائل الخضراء • فى تونس •

رغم ذلك فان الاحساس ، هنا يعطر المكان وأنفاسه
مختلف ، فالتواضع الجليل والهدوء الابى المستكين يضمخ
شوارع ، « جاهور » • التى ترقى عربتنا فيها لنطل على
مياه المحيط القريية منا •

هذا مسجد السلطان « أبو بكر » •• وهنا قصره
ايضا •• وبالطبع ليس المقصود ، هنا ، ابا بكر الصديق ،
فشتان بين سلطان وخليفة ، وانما هو مجرد تشابه فى
الاسماء •• وان كان يوحى ببعض الدلالة •

فالهم الآن اننا فى بلد معظم مواطنيه من المسلمين ،
رغم وجود عدد من المسيحيين والبوذيين والهندوكيين •
— تفضلوا ••

قال الدليل ، وهو يقفز من سيارتنا الى الاعشاب
ونحن فى رحاب •• قصر السلطان ومسجده •

ولما كانت جارتى الحسناء ، ذات الجمال الحزين
تجلس فى المقعد المجاور لى ، فائننى انتظرت قيامها كى
أتخلص من جلستى الطويلة •• انتظرت برهة ، لكنها
رمقتنى فى حياء وقالت :

— « تفضل •• أو انتظر قليلا » • ولما كان من قلة

الأدب أن أقفز من فوقها ، فقط انتظرت ٠٠ واكتشفت سر
هذا الحزن الممض فوق محياها ٠
وآه من المرض ٠

كانت المسكينة مقعدة ، رغم جمالها وشبابها ، ٠٠
كانت مقعدة ٠٠ إذ جاء من يحملها على كرسي متحرك ٠٠
تدرج في سيره حتى هبط بها سالة الى الأرض ٠

❖ ❖ ❖

قصر السلطان « أبو بكر » تحفة هندسية عربية
الطابع ٠٠ يستمد روعته وجلاله من ذلك النسق الهندسى ،
الاسلامى ، الذى يتوخى البساطة والجمال ٠ كان ابيض
اللون ، بسقف من القرميد الاحمر ٠٠ وسط مساحة هائلة
من اللون الأخضر عشباً وشجراً ٠٠ ونخيلاً ٠

ولكنه ليس ذلك النوع المعهود من النخيل الصلد
العربى ، الذى استمد من قساوة البيئة كل التقدير لظله
وثمره وقوة تحمله ويقائه ٠٠ أنه هنا ، نخيل « أفرنجى »
٠٠ والمزينة فقط ٠٠

ومضت أضواء آلات التصوير ، وانتشر الباعة من
حولنا ، مع رسوماتهم الفنية البديعة ، وزجاجات العصير
الباردة ، وحمدت الله على خلو المكان من الشحاذين ٠
ولكن أين جارتى الحسناء رغم عاهتها الظالمة ؟

رحت أبحث عنها ، بناظرى ، فكانت هناك على
كرسيها . وزوجها يدفع بها صاعدا الطريق المتعرج بين
ثنايا الاشجار والممرات الحجرية البيضاء .

وفى أعلى التل الاخضر . . التقطت عدة صور .
للمسيرة والسياح . . ولقصر السلطان . . وايضا لمياه
المحيط الداكنة ، وأحسست لفترة أن هناك دموعا تجرى
فى صمت وخفية فوق وجهها المتورد الذى يضح بالحياة
رغم تجعد الساقين .



اخوة من العرب هنا . . وكانوا ثلاثة .

لكنهم من نوع نادر . . قلما تلقاه فى المدن الغربية .
فهم يتحدثون فى هدوء ، ويستأذنون حين يتحدثون أو
يطلبون شيئا . وحتى نظراتهم . . لم تكن أبدا فجأة أو وقحة
رغم وجود سائحات أوروبيات يجعل مرآهن الدم
يغلى فى العروق . .

واقتربت . . وتعارفنا . . ورحنا نلتقط صوراً للذكرى
وكعادة العرب أصر أحدها على دفع ثمن المشروبات
(المرطبات) .

ثم مضينا نستفسر عن وجهاتنا .

قال الاول :

— ماذا بعد ماليزيا ؟

قال ذلك وهو يشعل لفافة تبغ امريكية ، فقلت :

— العودة الى « الدوحة » .

— أما أنا وزملائي .. فسنواصل المسير .

— الى أين ؟

— الى هونج كونج .

قال الثانى . أما الثالث فقال :

— وقد نمر بمدينة « تايبه » ثم بمدينة « مانىلا » .

وانطلق الاذان ..

فانطلقنا نحو المسجد .



المسلمون المتواجدون لاداء فريضة الظهر ، ليسوا
بالكثرة التى توقعتها ، لكن القرآن يقرأ بالعربية ، والامام
متخرج من الأزهر ، ويعرف أحياء القاهرة كاحد ابنائها .

— ألم تحن اليها .. الى القاهرة ؟

— أوه .. ياأخى .. وهل هناك ما هو أشهى من
الفول والطعمية وليالى رمضان قرب مسجد الحسين ؟

- « امتى الزمان يرجع يا جميل » .
- غنيت لفترة . وأنا اتحدث معه بجوار سور المسجد
الضخم والرائع معا . فأكمل :
- وأعيش معاك على شط النيل ،
- وضحكنا . ثم ودعته وانطلقت . الى مكان اخر .
- سرنا صفا واحدا خلف الدليل وهو يقودنا الى حديقة
الحيوانات . التى تبعد عن القصر والمسجد معا . وهناك
وهو يشير الى حشد من الفيلة والقروود والثعابين . قال :
- اغرب ما فى سلوك السلطان « أبو بكر » انه لم يفعل
كغيره من السلاطين .

– وماذا فعل اذن ؟ !

سألت جارتى الحسناء ، فرمقها الدليل بنظرة محايدة
وقال :

- لم يهتم بتكوين تجمع حاشد من النساء .
- .. لم يكن له حريم .
- اذن بم اهتم ؟
- اهتم بالحيوانات . هذه التى ترون .
- قال ذلك ، بينما رحت أسبر غور انفعالات جارتى

الحسنة وزوجها يقف من خلفها ٠٠ رمزا للوفاء ، ولم
أدهش عندما رصدت هبوط البريق في عيني جارتى ،
ودمعة احتجاج خفى تموجت لكثيف فوق وجه زوجها
الصبور ٠

فالمرأة يهمها أن تكون مرغوبة دائما ، والرجل يهمه
أن يتمتع بالدفع الانثوى كله ٠٠ لا أن يعيش بين حدود
النار والجليد ٠



٠ هذه قبور المسلمين ٠

قالها الدليل البوذي ، بلهجة ذات معنى لا ينم عن
الاحترام ، ونظرت انها نفس القبور في شرقنا العربى ،
فى الشام ، فى مصر ، فى بغداد ، كبيرة ، ذات شواهد
عالية ، والاسم مكتوب وتاريخ الوفاة ٠ وبالطبع كانت
بالملايوية ، واخرى بالانجليزية ، لانهما لغتان اساسيتان
هنا ٠

وبالجوار ٠٠ كان مستشفى لفقراء المسلمين فى
الولاية ، وهو يشبه مستشفى الدمرداش فى القاهرة ، وان
كان انظف مظهرا ، واقل ازدحاما ٠

ولم أجد من أسأله ، ان كان المسلمون هنا يلطمون
الخدود ويشقون الجيوب على موتاهم أم لا ؟ كما لم أعرف
ان كانت هناك مواسم لزيارة الموتى ٠٠ وتوزيع القطائر

والتمس على الفقراء استجلابا للرحمة والمغفرة ..
لأرواحهم ؟

وبالطبع لم يخبرنى احد ان كان هناك مقرئون يتلون
آيات - قصارا وطوالا - حسب المعلوم وكرم اهل الميت
كى تهدأ روح الميت وتستقر فى برزخها الابدى ٠ ام لا ؟
وقرات الفاتحة .. ومضيت .



هنا مقر حاكم الولاية ، وهنا البرلمان ، وهنا مقر
الشرطة و ..

وظل الدليل يلوح بذراعيه مع كل كلمة يقولها ، طوال
جولتنا فى اقليم « جاهور » .. حتى عدنا الى مراكز
الحدود .. الذى لم يطل بنا المقام عنده ، واثرها قال ،
ونحن ننطلق عبر سنغافورة مرة أخرى بعد أن عبرنا
الجسر :

— سنزور مقابر شهداء الحرب العالمية الثانية . وهناك
هبطنا .. مع المساء .



مقبرة « كرانجى » الحربية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) .
لوحه رخامية تطالعك فى اول خطوة تخطوها عبر
المقبرة الهائلة هنا ، فى شمال سنغافورة .

أى نهاية هذه ؟

ساءلت نفسى ليس بالنسبة لختام رحلتى التى استمرت
اثنتين وعشرين يوما ، وانما بالنسبة ايضا لأربعة وعشرين
الف ضحية بشرية دفنت هنا ، وهى تدافع عن ..

عن ماذا ؟

عن حقها فى الحياة ؟

أم ترى دفاعا عن نظرية البقاء للأقوى ؟

ومشيت ، حزينا ، وسط القبور ، التى خلت شواهدا
للحظة ، صفوفًا من الجنود الاحياء قد هبوا دفعة واحدة
لاستقبال المجهول ..

وكنت أبكى ، اذ رغم ان الحرب العالمية الثانية قد
انتهت ، منذ اعوام طويلة .. طويلة الا ان مأساة بلادى ،
أنا الفلسطينى السائر ميتا ، لم تحل منذ ذلك التاريخ حتى
الآن ..

هؤلاء الضحايا .. هم أنا وانت .. وأى مخلوق يمكن
أن يذبح بغتة بأمر من الدول العظمى ..

وجثوث قرب قبر .. قارئ الاسم والعزاء ..

فتسللت كلمات الشاعر « لوركسا » من العدم الى
الذاكرة ، حاملة حزن العالم كله وهى تقول :

» عندما أموت
تحت الأرض الدفنوني
مع قيثارتي
عندما أموت
بين البرتقال
والنعناع
عندما أموت
ان شئت في دواة الهواء
الدفنوني
عندما أموت
أه .. عندما أموت
اتركوا شرفتي مفتوحة
الطفل يأكل البرتقال
من شرفتي أراه
الحصاد يحصد القمح
من شرفتي أراه
إذا مت

اتركوا شرفتي مفتوحة »

وصحوت على « نهضة » قريبة .. كانت هناك عجوز ،
بيدها باقة زهور .. وبالأخرى منديل راحت تجفف به
الدموع ..

— كان حلوا وصيبا .. كان شجاعا .

وكننت أحبه .. فلماذا مات (٢١) ١٩ ..

— ليباركه الله .. ولدنا .. ليباركه الله .

قال زوجها العجوز .. ثم توكا الاثنان وعساذا مع
الغروب . وبكيت .

« لتحزم حقيبة السفر .

ولتعد أوراقك وأقلامك .. وما تبقى معك من نقود » .

خاطبت نفسي ، فى طريق عودتى الى « بانكوك » .

ووصلت . وصلت الى المدينة التى تركتها منذ أسبوع
وفى « روز هوتيل » نمت ليلتى .

ومع نسائم الفجر الاولى صحوت . وفى مطار
« بانكوك » اغتسلت بالمطر . فقد كانت السماء تتدفق مطرا
أو دمعاً .. لا أدرى .

ومع لحظة الوداع • والطائرة تقفز الى حضن الريح
تذكرت « كاي سونج » ، و « شاو » و « محمد كريم الله » ،
و « راجا » •

ورنت في اذنى مع هدير محركات الطائرة • • أهات
الليالى في تايلاند • وأهات التمزق في سنغافورة ، كما
رنت في اذنى ومن تخوم ماليزيا • • أهة من بقايا الحرب •

في مطار البحرين • • حومت الطائرة طويلا • • ثم
هبطت وزغردت الحروف العربية ، وفي الجوار ، وعلى
أحد مقاعد المنتظرين سفرا الى « الدوحة » ، ترك احدهم
مذياعه ، وكان يغنى :

« ياطير • • ياطير • » -

« بلغ سلامى • • » •

هزتنى الاغنية ، وصورة أمى التى لم أرها منذ
أعوام •

- بسبب احتلال غزة - تهوم فى القلب والذاكرة ،
فانصهرت كلمات الشاعر « ناظم حكمت » فى الحنايا • •
شوقا وحنينا هاتقا :

« وضعوا الشاعر فى الجنة »

« فصرخ : أه يا وطنى »

* * *

انتهت جولتى .. فى الشرق الاقصى .. فوداعا ،
والآن الى العمل والاحتراق .. اعود .

لكن الشاعر ما زال يصرخ .

وما زالت أمى كذلك ، شوقا .. ولهفة وقلقا على الأبناء
المبعدين عن الوطن ، فى جهات الدنيا الأربع .

* * *

(انتهت)

● عن المؤلف / توفيق المبيض

- من أبناء قطاع غزة ، ومن مواليد عام ١٩٤٠
- تخرج فى كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٦٣
- عضو فى اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

● كتب للمؤلف

- الصوت والكرامة - مجموعة قصصية - ١٩٦٩
- اسطورة ليلة الميلاد - رواية - ١٩٧٧
- القادم من تحت الانقاض - مسرحيات - ١٩٨٥
- بابا نويل لا يهدى وطننا - حكايات - ١٩٨٧
- نحو مسرح فلسطينى - ٣ مسرحيات عن الانتفاضة - ١٩٨٩

● كتب تحت الطبع

- منشورات منتصف الليل
- حوار مع طيور المنافى
- وجهها لوجه

١٨٥

(جيوكندا من الشرق)



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Alexandria

مكتبة الأسرة



يسعد رمزي خمسون قرشاً

بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع

• إن الشباب هم حملة لواء الغد، وهم الذين سيجابهون تحديات المستقبل ولا سبيل لهم إلا بالتسلح بالثقافة والمعرفة، وهذه السلسلة من «مكتبة الأسرة» موجهة للشباب.. وقد حرصنا في الاختيار على تنوع العناوين لتقديم مكتبة للشباب في السياسة والاقتصاد والعلوم والفكر والفنون .. هذه سلسلة تعنى بتثقيف الشباب في كل المجالات.

اللجنة العليا لمهرجان القراءة للجميع.

مطابع

الهيئة المصرية العامة للكتاب